IUGJHR
Vol 27, No 01, 2019, pp 115-144

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2017-12-10)، تاريخ قبول النشر (2018-01-08)

مفهوم التيسير اللّغوي والنحوي عند أنيس فريحة في كتابه: نحو عربيّة ميسرة

د. ملك محمد حسن إسماعيل[1,*]

[1] جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: malakawad2012@yahoo.com

الملخص:

هذا بحث يدرس مفهومَ التّيسير اللغوي والنّحوي في كتاب "نحو عربيّة ميسّرة" للدكتور أنيس فريحة، تناول البحثُ أنماطَ التيسير عند الباحثين العرب، ثم وقفَ عند مفهوم التيسير عند الدكتور فريحة، ويتلخّص مفهومه في الدعوة إلى العامية، وإلغاء الإعراب، واستبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي في الكتابة، ويترتّبُ على هذه الحلول مشكلات في نظر المؤلف، وقد ناقشَ البحثُ هذه الحلول وما يترتّب عليها من مشكلات.

كما ألمَّ البحثُ بطائفةٍ من القضايا اللغوية التي ضمّنها المؤلف كتابه، وناقش البحثُ أيضًا ما توهّمه الدكتور فريحة من أنّ العربية عاجزةٌ عن الوفاء بمتطلّبات العلوم والفنون.

كلمات مفتاحية: تيسير النّحو - الدّعوة إلى العاميّة.

The Concept of Syntactic and Linguistic facilitating in Anis Freha`s book "Nahwa Arabiya Moyasara"

Abstract

This is a research that studies the concept of syntactic and linguistic ways to facilitate the Arabic language in Dr .ANEES Freehs book (Nahwa Arabiya Moyasara). The research discusses different types of facilitating Arabic in scholars writings, then it illustrates Dr. Freehs call for colloquial Arabic and using the Latin letter instead of the Arabic letter. The writer believes that these solutions will cause problems. Moreover, the researcher discusses different phenomena: the solutions and the problems that will result, many linguistic issues and the idea that standard Arabic can't function well.

Keywords: Facilitating SYNTAX , A call for colloquial Arabic

تقديم:

يعالج هذا البحث ضروب التّيسير في النّحو العربيّ بعامة ، ويقف وقفة متأنية عند مفهوم التّيسير عند الدكتور أنيس فريحة في كتابه: "نحو عربيّة ميسرة" ، ويمكن حصر مفهوم التّيسير عند الدكتور فريحة في ثلاث مسائل: الدعوة إلى العاميّة ، والدعوة إلى إلغاء الإعراب ، والدعوة إلى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي في الكتابة.

وهذه الدعوات جميعاً مكرورة قال بها أسلافٌ له من قبلُ من مثل : عيسى اسكندر المعلوف ، ولطفي السيّد ، وقاسم أمين ، وعبد العزيز فهمي باشا وغيرهم .

وينبني على هذه الدعوات آراء خطيرة منها قطع الصلة بين الماضي والحاضر ، واستغلاق فهم القرآن الكريم والتّراث العربيّ الضخم.

ويرى الدكتور فريحة أنّ من الحلول لمسألة القرآن الكريم هو أنّ تكون اللغة العربيّة لغة دينية أسوة باللاتينية وقد سبقه إلى هذه الفكرة كتّاب من قبل.

وقد ناقش البحث هذه الدعوات مناقشة مفصلة معتمداً المنهج الوصفي التّحليلي القائم على وصف الظاهرة وتحليلها، فقد جاءت هذه الدراسة مقسمة إلى مبحثين :

الأوّل: أنماط تيسير النّحو العربي .

الثاني: مفهوم التّيسير عند الدكتور أنيس فريحة .

وقد اختار البحث كتاب الدكتور أنيس فريحة مع أنه صادر عام 1955م لأنّ كثيراً من أفكار هذا الكتاب لا تزال تطلّ برأسها بين الفينة والأخرى فلا بدّ من دراسة مفصلة له تكشف ما فيه من ريبة وعوار .

وهذا البحث أوّل دراسة تفصيلية– في حدود ما أعلم– لكتاب الدكتور أنيس فريحة تناولت مفهومه للتيسير وألمت بقضايا الكتاب جملةً.

مفهوم التّيسير عند أنيس فريحة في كتابه: نحو عربيّة ميسّرة.

المبحث الأوّل:

<u>أنماط تيسير النّحو العربي</u>:

ارتفعت الشّكاة من النّحو العربي وقواعده وأقيسته، وتعليلاته، ومطوّلاته، وتفريعاته، ومسائل الخلاف فيه قديمًا وحديثًا. من أجل ذلك نهضَ العلماءُ يؤلفون الكتبَ بُغية تيسير علم النّحو وتقريبه إلى الأفهام، وإزالة ما علق به من شوائب وغبار، وما خامره من لبس أو غموض. لكنَّ العلماء لم يتفقوا على مفهومٍ مُحدّد للتيسير، وذهبوا فيه مذاهب شتى، وافترقوا طرائق قِددًا، ويمكن نظم هذه الطرائق في خمسةِ أضرب:

الضَّرب الأوّل:

اكتفت مؤلفات هذا الضرب بالعرض القاصد للمادة النّحوية، والنأيّ عن الشرح والتّطويل وبسط المسائل، والولوج في تفصيلات تفضي إلى التكلّفِ والغموض والعسر.

وقواعد النّحو العربي الأساسية لم تمس، ولم يلحقها شيء من الإخلال أو التّغيير. ويمثل هذا الضرب قديماً "الجمل في النّحو" لأبي القاسم الزّجاجي، المتوفى سنة (337ه)، و"الواضح" لأبي بكر الزبيدي الاشبيلي، المتوفى سنة 379ه، و "اللمع في العربيّة"

لأبي الفتح عثمان بن جني، المتوفى سنة 392ه[1]، و"المصباح في علم النّحو" لأبي الفتح ناصر الدين المطرزيّ، المتوفى سنة 616ه، و "المقدّمة الآجرومية" المعروفة بـــ "الآجرومية" لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصّنهاجي، المتوفى سنة 723ه، وتعدُّ المختصرات والمتون خطوات في سبيل تيسير النّحو العربي. [2]

وفي العصر الحديث قامت طائفةٌ من العلماء بتأليف عددٍ من الكتب الميسرة في النّحو العربيّ، عرضت فيه قواعد النّحو عرضًا سهلًا قريب التّناول، لا عسر فيه ولا مشقة، مع كثرة التّمرينات والشواهد من مثل "قواعد اللغة العربيّة "لحفني ناصف وزملائه و"النّحو الواضح" للأستاذين علي الجارم ومصطفى أمين، وغيرهما كثير.[3]وهذا الضرب من التّأليف لا ينظر إلى النّحو العربيّ "على أنّه فاسدٌ مختل، يستحق الهدم، ولكن على أنّه صالح مشوب، يغشاه غبار الزمن... حاجته أولًا وآخرًا أن ينفض عنه الغبار، وتنفى الشوائب، ويعرض عرضاً جديدًا".[4]ويعوّل هذا الضرب من التّأليف على "تلخيص المسائل، وإتمام الشواهد، والإقلال من الخلاف" وتعوّل – أي هذه الكتب– أكثر ما تعوّل في نظامها ومادتها على كتاب "أوضح المسالك" لابن هشام، والتّصريح عليه للشيخ خالد الأزهري".[1]

الضرب الثّاني:

أبرز ما في هذا الضرب من ضروب التّيسير في النّحو العربيّ، حذفُ بعض أبواب النّحو العربي أو زيادة بعض النواقص كحذف الإعرابين التّقديري والمحلي، وحذفُ بابي التّنازع والاشتغال، وتسمية المسند إليه بالموضوع، والمسند بالمحمول، وجعل (كان) وأخواتها أفعالًا تامة في جميع الأحوال، وإلحاقها بالحال، وإلحاق المفعول الثّاني للأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر بالحال، والمفعول الثّاني لغيرها بالتمييز، وإلحاق المفعول المطلق بالمفعول فيه، وأبرز ما يمثل هذا الضرب المقترحات التي قدمتها اللجنة المصرية المُكلّفة بتيسير النّحو العربي والمكلّفة من الأساتذة: أحمد أمين، وعلي الجارم ومحمد أبو بكر إبراهيم، وإبراهيم مصطفى[2]، ومقترحات الأستاذ شاكر جودي[3]، ومقترحات الدكتور شوقي ضيف[4]، وغيرها.

الضرب الثالث:

ويهتدي هذا الضربُ من التّأليف بآراء الكوفيين ويستنير بأفكارهم، وأبرز ما يمثل هذا الضرب أو هذا الاتجاه الدكتور مهدي المخزومي في كتبه "النّحو العربي نقد وتوجيه"، و "النّحو العربي قواعد وتطبيق" و "قضايا نحوية" ومن قبل المخزومي مصطفى جواد في مقالة "النّحو الكوفي وفائدته في تيسير القواعد العربيّة" المنشور في مجلة "المعلم الجديد".[5]

الضرب الرابع:

يمثل هذا الضربُ من المتقدمين ابن مضاء القرطبي في كتابه "الرّد على النّحاة" والأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه "إحياء النّحو"، ويتفق الرجلان على أنّ التيسيرَ يكمن في تغيير وجهة البحث النّحوي. فقد صرّح الأوّل بأنّ غايته أن يحذف "من

---

[1]انظر: خليفة ،عبد الكريم،1407-1986، تيسير العربيّة بين القديم والحديث،الطبعة الأولى عمان-الأردن ص 45.
[2]انظر: ضيف، شوقي، 1986 ،تيسير النّحو التّعليمي قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده،الطبعة الأولى، دار المعارف بمصر،ص13، وما بعدها.
[3]انظر: ناصف، علي النّجدي،1953، سيبويه إمام النّحاة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ص 32 وما بعدها.
[4]المرجع السابق، ص 41.
[1]ناصف،علي النجدي، ص 35.
[2]انظر: رد حسين، محمد الخضر على هذه المقترحات، 1960 ،دراسات في العربيّة وتاريخها،الطبعة الثانية ،المكتب الاسلامي مكتبة دار الفتح ، ص 239.وما بعدها.
[3]انظر: القزاز، عبد الجبار جعفر، 1979،الدراسات اللغوية في العراق،منشورات وزارة الثقافة والإعلام ،الجمهورية العراقية ،ص 162 وما بعدها.
[4]انظر: ضيف، شوقي، تيسير النّحو التّعليمي قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده، ص 4
[5]انظر: القزاز، عبد الجبار جعفر، الدراسات اللغوية في العراق، ص 172.

النّحو ما يستغني النحويّ عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه"[6]، وانبنى على هذا مناداته بإلغاء العامل النّحوي، وإلغاء القياس، وإلغاء العلل الثواني والثوالث، والتّقديرات التي لا موجب لها[7]. وصرّح الثّاني بقوله: "ولقد بُذل في تهوين النّحو جهود مجيدة، واصطنعت أصول التّعليم اصطناعاً بارعًا ليكون قريبًا واضحًا، على أنّه لم يتجه أحد إلى القواعد نفسها، وإلى طريقة وضعها فيسأل: ألا يمكن أن تكون تلك الصعوبة من ناحية وضع النّحو وتدوين قواعده، وأن يكون الدواءُ في تبديل منهج البحث النّحوي للغة العربية"؟[1]

واختلف الباحثون المعاصرون في تقويم هذين الكتابين، فالدكتور شوقي ضيف يرى في دعوة ابن مضاء القرطبيّ "ثورة موجهة إلى نظريةِ العامل التي أحالت كثيرًا من جوانب كتاب النّحو العربي إلى عُقَدٍ صعبة الحل، عسيرة الفهم".[2] وواضح من المقدمة الطويلة التي صدّر بها الدكتور شوقي ضيف كتاب "الرّد على النّحاة" إعجابه بأفكار ابن مضاء، هذه الأفكار هي التي حملت الدكتور ضيف إلى القول بحاجة النّحو العربي إلى تصنيف جديد[3]. وبعد سنين قدّم الدكتور شوقي ضيف إلى المكتبة العربيّة كتابين هما: تيسير النّحو التّعليمي قديمًا وحديثًا مع منهج تجديده، وتجديد النّحو.

وخلاصة ما ذهب ومقترحات الدكتور ضيف في تيسير النّحو وتجديده، كما عبَّر عنها تنحصر في "إعادة تنسيق أبواب النّحو، وإلغاء الإعراب التّقديري والمحليّ، وألّا تعرب كلمةٌ لا يفيد إعرابها شيئًا في تصحيح النّطق بها،... ووضع تعريفات وضوابط دقيقة لأبواب النّحو العسيرة... وحذف زوائد كثيرة في النّحو التّعليمي تُعنى بشروط وقواعد عقده، وبإعرابات افتراضية مصنوعة... وزيادة نواقص ضرورية في النّحو التّعليمي".[4]

ويعلن الدكتور ضيف أنّ كتابيه هما ثمرةٌ من ثمار كتاب الرّد على النّحاة[5]، ومن الذين أعجبوا بـــابن مضاء وأفكاره، وغلا في إعجابه الدكتور محمد عيد في كتابه أصول النّحو العربي فابن مضاء عنده "مجتهدٌ في النّحو، متفرد فيه بآراء جديدة، وهي دقيقة يؤيدها كتابه الوحيد الباقي "الرّد على النّحاة"[6] وهناك مواضع كثيرة من الثناء في تضاعيف هذا الكتاب[7]، وثمة من الباحثين من لا يرى في كتاب "الرّد على النّحاة" غير دعوة إلى المذهب الظاهري وتطبيق قواعد هذا المذهب على النّحو ،"نعتقد بأنَّ الحكم على ابن مضاء بالتّجديد وبالثورة وبالاجتهاد لا يكون بالنظر الجزئي القاصر، أي لا يكون بعزل الكتاب عن صاحبه، فابن مضاء لم ينظر في النّحو نظرة علمية مجردة، بل نظر فيه نظرة فقهيّة ظاهرية"[8]. وفصّلت عبير سميح يوسف القول في خلاف المحدثين في تقويم الرّد على النّحاة.[9]

وكما اختلف الباحثون في تقويم كتاب "الرّد على النّحاة"، فقد اختلفوا أيضًا في تقويم كتاب "إحياء النّحو" للأستاذ إبراهيم مصطفى، وخلاصة أفكار هذا الكتاب الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل على النّحو الذي ذهب إليه ابن مضاء ،وعدَّ الإعراب أثرًا

---

[6]القرطبي، ابن مضاء،1947، الرّد على النّحاة،تحقيق د.شوقي ضيف،الطبعة الأولى ،دار الفكر العربي ، ص 85.
[7]انظر: المرجع السابق، ص 85 وما بعدها، ص 151 وما بعدها، ص 156 وما بعدها.
[1]مصطفى، إبراهيم، 1959،إحياء النّحو،مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنشر،، د.
[2]القرطبي، ابن مضاء، الرّد على النّحاة، مقدمة الدكتور شوقي ضيف، أ.
[3]انظر: المرجع السابق، ص 47.
[4]ضيف، شوقي، تيسير النّحو التعليميّ قديمًا وحديثًا مع منهج تجديده، ص 5، ص 49، وانظر: تجديد النّحو، ص 3 وما بعدها.
[5]انظر: ضيف، شوقي، تيسير النّحو التّعليمي، ص 5، و ضيف ،شوقي ،1986،تجديد النّحو،دار المعارف بمصر ،، ص 3.
[6]عيد، محمد، 1973،أصول النّحو العربي في نظر النّحاة ورأى ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث،عالم الكتب، ص 46 وما بعدها.
[7]المرجع السابق، ص 46 وما بعدها.
[8]الإسنوي ، جمال الدين، 1985،الكوكب الدّري فيما يتخرج على الأصول النّحوية من الفروع الفقهيّة،تحقيق د.محمد حسن عوّاد،الطبعة الأولى،دار عمار للنشر والتوزيع،عمان-الأردن ، مقدمة المحقق، ص 97-98.
[9]انظر: يوسف، عبير سميح، صورة ابن مضاء القرطبيّ عند الدّارسين المحدثين، رسالة ماجستير. الجامعة الأردنيّة.

لفظيًّا، وإهمال بعض أساليب الكلام، وأنّ الضمة عَلَمُ الإسناد، والكسرة عَلَمُ الإضافة، والفتحة أخف الحركات.[1]والكتاب في نظر الأستاذ علي النّجدي ناصف محاولة لتجديد النّحو"[2]. وليس فيه "ما يدلُّ على أنّ مؤلفه رجع فيه إلى الرّد على النّحاة، وإن كان لينحو منحاه ويستهدي به في بعض المباحث".[3] وهو عند الدكتور شوقي ضيف محاولة أراد صاحبها "أن يقيم للنحو بناء ييسره على الناشئة".[4]

وهو "يلتقي فيه بثورة ابن مضاء على نظرية العامل في النّحو والدعوة بقوة إلى إلغائها"[5]والكتاب في نظر الدكتور عبد الجبار القزاز محاولة جريئة... أنارت السبيلَ لكلِّ من فكر في محاولة جديدة لتيسير النّحو"[6]ويقابل هذا الفريق فريقٌ آخر لا يرى في كتاب "إحياء النّحو" غير آراء مكرورة قال بها القدماء، أو غفلة عما قالوه واتهامهم بالتّقصير أو دعاوى قابلة للنقاش أو النّقد.[7]

ويرى الدكتور محمّد محمّد حسين أنّ كتابَ "إحياء النّحو" كتاب ميت في النّحو.[8]وأن عنوانَ الكتاب الذي اقترحه طه حسين عنوان ضخم عريض فيه كثيرٌ من التبجّح والادّعاء.[9] ويرى الدكتور عبد الكريم خليفة أنّ كتابَ "إحياء النّحو" لم يحقق الأهداف التي رسمها مؤلفه في مقدمته "وبقي البحث النّحويّ يراوح في إطار من الغموض والإبهام، واستبدال مصطلحات نحوية بغيرها... وهو في ذلك كله لم يستوف قواعد العربية ،ولم يقدّم مصنفًا علميًا متكاملًا يمكن أن يترجمه المؤلف ذاته أو غيره إلى كتاب تعليمي يسهل تعليم العربيّة، ويقرّب نحوها وصرفها إلى الأفهام ويحببها إلى النّفوس"[10]

أما الدكتور نعمة رحيم العزاوي فيرى أنّ "محاولةَ إبراهيم مصطفى ليست محاولة تيسير، ...وإنّما هي محاولة أخرى... هي أصعب وأعسر من فلسفات النّحاة القدامى، ولذا لم يكن كتاب (إحياء النّحو) من كتب التّيسير التي تهوّن النّحو، وتخفف ثقل قضاياه، بل هي محاولة عسيرة.

متكلفة لا يصحُّ الاعتماد عليها في تيسير النّحو"[1]. ولا يرى الدكتور العزاوي في إلغاء نظرية العامل التي نادى بها إبراهيم مصطفى غير نظرية "مقتبسة بل منتهبة من كتاب: الرّد على النّحاة".[2]

الضرب الخامس:

ويتمثل هذا الضرب في الدعوة إلى العاميّة، والدعوة إلى إلغاء الإعراب وتسكين الأواخر، والدعوة إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربيّة. ولا أرى في هذه الدعوات شيئًا يمسُّ التّيسير أو الإصلاح، بل هي دعوات مريبة، غايتها هدم العربيّة الفصحى، وقطع الصلات بين ماضي العرب وحاضرهم، وقطع ما تبقى من أواصر تربطهم بحاضرهم، وينبني على هذه الدعوات إيجاد سدّ منيع يحول بين العرب والمسلمين وتدبر كتابهم المقدس "القرآن الكريم" لا ريب أنّ هذه الدعوات دعوات

---

[1]انظر: مصطفى، إبراهيم، إحياء النّحو، 53، 72، 79، و ناصف، علي النّجدي، سيبويه إمام النّحاة، ص 36.
[2]انظر: ناصف، علي النّجدي، سيبويه إمام النّحاة، ص 36.
[3]المرجع السابق، ص 36.
[4]ضيف، شوقي، تيسير النّحو التّعليمي، ص 31.
[5]المرجع السابق، ص 27.
[6]القزاز ، عبد الجبار جعفر، الدراسات اللغوية في العراق، ص 149.
[7]من هؤلاء: عرفة، محمد 1937،في كتاب: "النّحو والنّحاة بين الأزهر والجامعة"مطبعة السعادة ،مصر،، وحسين، محمد الخضر في دراسات في العربيّة وتاريخها، ص 181 وما بعدها، وناصف علي النّجدي، سيبويه إمام النّحاة، ص 36.
[8]انظر: حسين، محمّد محمّد، 1983،حصوننا مهددة من داخلها،الطبعة الثامنة ،مؤسسة الرسالة،، ص 145.
[9]المرجع السابق، ص 175.
[10]خليفة، عبد الكريم، تيسير العربيّة بين القديم والحديث، ص 91.
[1]الزّبيدي، سعيد جاسم،2003، نحوي مجهول في القرن العشرين، الشيخ يوسف كركوش،الطبعة الأولى ،دار أسامة للنشر والتوزيع ،عمان –الأردن ، ص 115.
[2]المرجع السابق، ص 114، وانظر مزيداً من الآراء في تقويم "إحياء النّحو" لإسماعيل، فاطمة،2014، ظاهرة الإعراب عند الدّارسين المحدثين.الجامعة الأردنيّة ،

خبيثة تسربلت بسرابيل التّيسير والتّجديد والإصلاح، وليس ثمة شيء من هذا يصدّقه الواقع. ومن أعلام الدعوة إلى العاميّة "أحمد لطفي السيد وسلامة موسى وعيسى اسكندر المعلوف وغيرهم.[3]

ومن أعلام الدعوة إلى إلغاء الإعراب قاسم أمين و الجنيدي خليفة وغيرهما.[4] ومن أعلام الدعوة إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربيّة عبد العزيز فهمي في مقترحه "تيسير الكتابة العربيّة"[5] وداود جلبي[6] وغيرهما.[7]

وقد تتبع هذه الدعوات وأبانوا ما فيها من ريبة وفساد وخطر غير واحد منهم:الدكتور محمد محمد حسين في كتابيه :"الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر"، و"حصوننا مهددة من داخلها"، والدكتوره نفوسه زكريا سعيد في كتابها :"تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر" ،والأستاذ عباس حسن في كتابه :"اللغة والنّحو بين القديم والحديث"، والدكتورة منيرة بنت سليمان العلولا في كتابها: "الإعراب وأثره في ضبط المعنى"، و فاطمة إسماعيل في أطروحتها :"ظاهرة الإعراب عند الدارسين المحدثين" وغيرهم.

نحو عربيّة ميسرة:

هذا كتاب ألّفه الدكتور أنيس فريحة سنة 1955م، وصدر عن دار الثقافة– بيروت، وجعله مؤلفه في ثلاثة أجزاء يضمُّها مجلد واحد. يقول المؤلف: "وقد قسمنا البحث إلى ثلاثة أجزاء يتناولُ الجزء الأول اللغة عامة، وأسلوب درسها درسًا علميًا حديثًا. وقد حاولنا في هذا الجزء أن نعيدَ النّظر في تحديد اللغة، وأن نذكرَ شيئًا عن علم اللغة، وعن أثره في تغيير وجهة نظر النّاس إلى اللغة، ويُعنى الجزء الثاني ببحث نشأة اللهجة الأدبيّة والمحكيّة والصراع الذي نشأ بينهما، وكيف ترتقي لهجة محكية إلى مصاف اللهجة الأدبيّة بوساطة سلطة... ويعنى الجزء الثالث بحلّ المشكلة وما يترتب على الحلّ من مشاكل فكريةٍ ودينية".[1]

وسنحاول في هذا البحث عرضَ مقولات الدكتور فريحة وأفكاره ومناقشتها بحيدة تامة، ويلاحظ أنّه يكرر أفكاره في غير موضعٍ من كتابه، ويلحّ على الفكرة الواحدة في غير موضعٍ من كتابه أيضًا. وسأشرع في بيان ما ألحّ عليه من مسائل. أوّلها مفهومه للتّيسير، وثانيها رؤيته للمشكلات اللغوية، وثالثها ما قدمه من حلول لهذه المشكلات، ورابعها عقابيل حلوله، وخامسها قضايا لغوية وقف عندها وقفة الطائر، فهي أشبه بعناوين أبحاث، وليست أبحاثًا تتوخى التّغلغل في بطون المسائل.

---

[3] انظر: حسين، محمد محمد، 1983،الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة،، 359/2 وما بعدها، وسعيد، نفوسه زكريا، 1964،تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر،الطبعة الأولى، الاسكندرية ،دار نشر الثقافة ،ص 124 وما بعدها، 201 وما بعدها، والعلولا، منيرة بنت سليمان، 1993،الإعراب وأثره في ضبط المعنى دراسة نحويّة، الاسكندرية،دار المعرفة الجامعية، ص 17وما بعدها وحسن عباس، 1966،اللغة والنّحو بين القديم والحديث،دار المعارف ،مصر، ص252 وما بعدها. وشاكر محمود محمد ،1972،أباطيل وأسمار ،الطبعة الثانية ، القاهرة ،مطبعة المدني،ص262 وما بعدها

[4] حسين، محمّد محمّد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ص 372/2، وسعيد، نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العاميّة، ص 201، والعلولا، منيرة بنت سليمان، الإعراب وأثره في ضبط المعنى، ص 28 وما بعدها، و حسن، عباس، اللغة والنّحو بين القديم والحديث، ص 252 وما بعدها، وخليفة، الجنيدي، نحو عربيّة أفضل، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت ،د.ت ص 68 وما بعدها، وإسماعيل، فاطمة، ظاهرة الإعراب عند الدارسين المحدثين.

[5] فهمي ،عبد العزيز،1946، تيسير الكتابة العربيّة ، القاهرة المطبعة الأميريّة.

[6] انظر:القزاز، عبد الجبار جعفر، الدراسات اللغوية في العراق، ص 193 وما بعدها.

[7] رد غير باحث على هذه الدعوة، منهم مظهر، إسماعيل في تجديد العربيّة بحيث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون، مكتبة النهضة المصرية، ص 79، وحسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، 376/2 وما بعدها، وسعيد، نفوسه زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية، ص 208 وما بعدها، وحسن، عباس، اللغة والنحو بين القديم والحديث، ص 252، وما بعدها، وغيرها.

[1] فريحة، أنيس،1955، نحو عربيّة ميسرة، بيروت ،دار الثّقافة ، ص 8.

المبحث الثّاني:

1- <u>مفهوم التّيسير عند "الدكتور فريحة.</u>

مفهوم التّيسير عند الدكتور فريحة كما سيأتي تفصيل ذلك- يتلخص في الدّعوة إلى العاميّة، وإلى إلغاء الإعراب، وإلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية. يقول: "ولا نزال إلى يومنا هذا نؤلف كتبًا لتيسير النّحو و تقريبه إلى أفهام النّاس، ولا أظننا قد أفلحنا. اعتبر عناوين كتب النّحو، إحياء النّحو، النّحو الواضح، الشافي، الكافي، التّقريب، التّسهيل، والتّوضيح، وحاشية فلان على كتاب فلان... تقيد اللغة بأحكام مرهِقة يوقف نمو اللغة، وهذه اللغة التي توقفها عن النّمو، قد تبقى في بطون الكتب والمعاجم، ولكن لغة النّاس تسير سيرها غير عابئة بالأحكام، والشاهد على صحة هذا لغتنا العامية".[2]

ويؤكد الدكتور فريحة دعوته إلى العامية حين يخلع عليها صفات المرونة والسلاسة فيقول: "فإننا في حياتنا اليوميّة نتكلم لغة سلسة سيّالة تتميز بفقدان الإعراب، وبغنى في الحروف المصوتة التي تضفي على النّطق بها مسحة تخالف النّطق بالفصحى، وكذلك تتميز بمرونة في التّراكيب وبسهولة في التّعبير، ولكن في حياتنا الرسمية – في التّعلم ،وفي القراءة ،والكتابة ،وفي المواقف الرسمية- علينا أن نتلبس شخصية لغوية ثانية".[1]

ويقول: "وخلاصة القول إنّ هذه اللهجة العربيّة المحكيّة التي نقترحها لغةً أدبيةً هي العربيّة الفصحى الميسرة المبسطة، كما يسرتها الحياة، وكما بسطتها الحياة".[2]

ويقول في موضع آخر: "إنّ هذه اللهجة العربية المشتركة بين أفراد المجتمع الراقي ليست معربة بل هي لهجة عامية بعيدة عن الإقليمية".[3]

للدكتور فريحة أن يدعو إلى العاميّة وإلى إلغاء الإعراب، وإلى ما شاء من دعوات مريبة، غير أنّ هذا كلّه لا يسوغ له أبدًا أن يَسِمَ كتابه بـــ "نحو عربيّة ميسرة"؛ لأنّ العربيةَ وصفٌ للسان الجامع الذي يجمع أقطار العرب، والعاميّة متباينةفي أقطار العرب تباينًا قويًا حينًا ومتوسطًا حينًا ثانياً وضعيفًا حينًا ثالثًا، بل إنّ القريةَ أحيانًا تختلف في عاميتها عن عامية القرية الأخرى، فأيّ العاميات نأخذ وأيّ العاميات ستحظى باهتمام الدكتور "فريحة"؟.

والدكتور فريحة يقرُّ بأنّ "العاميّة لغة قائمة بذاتها تختلفُ عن الفصحى في نظامها الصوتي، والصرفي، والنّحوي ،والمعجمي، وهي اختلافات جوهرية تبرّر اعتبارها لغةً مغايرةً للفصحى".[4]

وما دام الأمرُ كذلك، فإنّ حقًا واجبًا على المؤلف أن يسمَ كتابَه بـــ : نحو لغة عاميّة لا نحو عربيّة ميسرة ؛لأنّ العربيّة – كما تقدم- وصف للسان الجامع بين العرب، وإذا كان الدكتور فريحة غير معني بالآصرة اللغويّة الجامعة بين العرب، فإنّ العرب – وإن مال عليهم الدهر وعَضّهم بنابه معنيون بهذه الآصرة، حراصٌ عليها، ولا يُجدي تهوين المؤلف من شأنها حين حملها على اللاتينية وغيرها من اللغات التي تحدرت منها لغات أخرى: "فمن اللاتينية تحدرت لغاتٌ حيّة هي الفرنسيّة والإيطاليّة والإسبانيّة، وهذه بدورها ستنحلُّ إلى لهجاتٍ متعددةٍ يموت بعضها بانحلال المجتمع ويعيش بعضها الآخر بتماسكه ونموه.

---

[2] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 24، ص 25.
[1] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 22.
[2] المرجع السابق، ص 187.
[3] المرجع السابق، ص 187.
[4] المرجع السابق، ص 21.

قد نستطيع بيسر أن نطيلَ حياة لغة ما بإقامة سياج حولها من أحكام شديدة، وقوانين ثابتة، وقد نقيم حولها هالةً من التّقديس، وقد نضفي على أدبها مسحةً من القدسية، وجميع هذه تطيل في حياتها، ولكن لا مَفَرَّ من المحتوم، الموت، وكلّ حيّ يموت. واللغةُ حيّةٌ فهي خاضعةٌ لهذا النّاموس، أليس في عربيتنا اليوم كثير من الممات؟".[1]

قياسُ المؤلف العربيّة على اللاتينية قياسٌ غير صحيح ؛لأنّ "الفرق بين اللاتينية وفروعها أبعد كثيرًا من الفرق بين العربيّة الفصحى وفروعها العامية. فالعامي الإنجليزي والفرنسي مثلًا ينظر إلى اللاتينية نظره إلى لغة غريبة. أما العامي العربي فإنّه يفهم اللغة العربيّة الفصحى، وإذا فاته فهم بعض الألفاظ، فإنّ المعنى الإجمالي يندرُ أن يفوته".[2]

يضافُ إلى ذلك، أنّ اللغات الأوروبيّة تتطوّر أصولًا وفروعًا، أو هكذا أراد لها أصحابها خلافًا للعربيّة التي ينحصر تطورها في قطاع الدلالة. يقول الدكتور محمّد محمّد حسين: "لا يستطيع الإنجليزي اليوم من عامة الشّعب أن يفهمَ لغة شكسبير الذي مات في القرن السابع عشر، بينما لا يستطيع الإنجليزي المثقف أن يقرأ ما قبل شكسبير مثل تشوسر، ولا يقدر عليه إلّا قلّة من المتخصصين، ومثل ذلك الفرنسيّة والإيطاليّة، اللغات الأوروبيّة الحديثة، أما نحن العرب على اختلاف أقدارنا من الثّقافة فنقرأ القرآن ونفهمه إلّا قليلًا مما ترجع صعوبته إلى دقة المعاني في أغلب الأحيان، ونقرأ رسائل الجاحظ وأغاني الأصفهاني فلا نكاد نُحسُّ فارقًا بين أسلوبها وبين أسلوب بعض المعاصرين، فلماذا نسعى إلى أن نُفقدَ أنفسنا هذه المزايا التي لم تفرض علينا فقدها ضرورة من الضرورات؟"[3] وقدرُ العربية – كما أسلفنا– أن ترتبطَ بالقرآن، وأن يرتبطَ القرآن بها. يقول الرافعي: "فهذا الذي أمسكه القرآن الكريم من العربيّة لم يتهيأ في لغة من لغات الأرض... ولن تتلاحق أسبابه في لغة بعد العربيّة، وهذه اللغة الجرمانيّة، انشقت منها فروع كثيرة في زمن جاهليتها، واستمرت ذاهبة كلّ مذهب، وهي تثمرُ في كلِّ أرض بلونٍ من المنطق وجنس من الكلم... واللاتينية فقد استفاضت في أوروبا حتى خرجت منها الفرنسيّة والطليانيّة والإسبانيّة وغيرها، وكان منها عامي وعامي بلغة العلم ولغة اللسان، ثم أنت ترى اليوم بين تلك اللغات جميعها وبين ما تخلّف منها في مناطق هذا الجيل ما لا تعرف له شبيهًا في المتباعدات المعنويّة، حتى كأنّ بين اللغة واللغة العدم والوجود، فالعربيّة قد وصلها القرآن بالعقل والشعور النّفسي حتى صارت جنسية".[4]

والعربيّة مُدَّت بأسباب الحياة ومواكبة مستجداتها بما ضمته من غزارة في المادة، وكثرة الأبنيّة، وتعدد الصيغ، والمرونة في الاشتقاق، والإبدال، والقلب، والنّحت، والتّرادف، والاشتراك، والتّضاد، والتّعريب، والتّوليد.[1]

ومع أنَّ المؤلفَ يقرُّ في غير موضعٍ من كتابه بأنّ العربيّة "غنيةٌ بمفرداتها في نواح كثيرة، عظيمة الإمكانيات في اشتقاقها وقياسها، وقد استطاعت يومًا أن تنقل إليها حضارات الشرق الأدنى عن طريق التّرجمة والتّعريب، والتّوليد، وإحياء مفردات قديمة، وإسباغ المعاني الجديدة عليها.[2]

ويقول في موضعٍ آخر: "إنّ هذه الصفات التي تتّصف بها العربية، غنى في المفردات، وقدرة على التّصعيد، والتّوليد، وإمكانات في الاشتقاق عديدة، ومبدأ القياس والتّعريب، دفعت إلى تبوء مكانة مرموقة في العصور المتوسطة."[3] مع أنّه يقرُّ بذلك، لكنه يعلن "بأنّ العربيّة عاجزة عن التّعبير عن هذه الحياة الجديدة".[4] ويقول في موضع ثانٍ: "العربيّة عاجزة في وضعها

---

[1] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 74-75.
[2] حسين، محمد محمد، الاتجاهات ا لوطنيّة في الأدب المعاصر، 374/2.
[3] المرجع السابق، 368/2.
[4] الرافعي، مصطفى صادق، 1974،تاريخ آداب العرب، الطبعة الثانية، بيروت،لبنان ،دار الكتاب العربي، 90/2-91.
[1] انظر: الرافعي، مصطفى صادق،تاريخ آداب العرب،171/1، وما بعدها.
[2] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 28.
[3] المرجع السابق، ص 16.
[4] المرجع السابق، ص 28.

الحالي عن التّعبير عن الحضارة الغربيّة"[5]. ويقول في موضعٍ ثالث: "فها قد مَرَّ على الحياة العربية ما يقرب من (1500) سنة، ولغتهم لم يطرأ عليها تغيير ما ولا تبديل ما، عربيةَ اليوم هي عربيّة امرئ القيس، وجرير، وناصيف اليازجي.

إنَّ الحياةَ تسير سيرها الحثيث، والعربيّة اليوم في حالتها الحاضرة تحاولُ أن تماشي الزمن، ولكن سيرها بطيء، ولن نستطيع إيقاف الزّمن، فإنَّ سرعةَ التقدم عظيمة، ويخشى أن تتسكعَ العربية في المؤخرة. وهذا هو جوهرُ المشكلة اللغويّة... زمنٌ سريع التقدم ولغةٌ مُكبَّلة.[6]

وعلى النّصوص التي سقناها عن المؤلف جملة من الملاحظات:

1- **الأولى:** يريد المؤلف أن يحمل العربيّة على اللاتينية واللغات الأوروبية قسرًا متجاهلًا ما لكلِّ لغة من خصوصية، وطوابع مستقلة، ولا يعدُّ هذا النّحو من التفكير اصلاحًا أو تيسيرًا؛لأنه يعني الذوبان الكامل في سنن اللغات الأخرى.

2- **الثّانية:** ما سطَّره المؤلف من قياس العربيّة على اللاتينية كلامٌ مكرور سبقه إليه كثيرون من الغربيين ومن العرب، ومنهم طه حسين في كتابه "مستقبل الثّقافة في مصر".[7] وكذا ما ذكره من صعوبة العربيّة وتعقيدها فقد سبقه إلى هذه الأفكار كثيرون.[8]

3- **الثالثة:** فكرةُ الدعوة إلى العاميّة أيضًا فكرة مكرورة سبقه إليها غربيون وعرب، والأدلة التي ساقها هي الأدلّة التي ساقوها فلا جديد عنده، فضلًا عن أنّ القضيةَ خاسرة. ومن أوائل من دعا إلى العاميّة "مجلة المقتطف" في اقتراح لها باعتماد العاميّة سنة 1881م.[1]

وفي سنة 1902 ألّف القاضي الإنجليزي ولمور كتابًا سمّاه لغة القاهرة، وضع لها فيه قواعد، واقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب، كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية.[2]

وفي سنة 1926م دعا مهندس الرّي الإنجليزي في مصر "وليم ولكوكس" إلى "هجر اللغة العربيّة"[3]، ومن الدّاعين إلى العاميّة سلامة موسى و أحمد لطفي السيّد و عيسى اسكندر المعلوف وغيرهم[4]." وقد فصّلت القول في هذه المسألة الدكتورة نفوسة زكريا سعيد في كتابها: "تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر"، و عباس حسن في كتابه :"اللغة والنّحو بين القديم والحديث"، وخير ردٍّ على دعاة العاميّة ما قاله الدكتور علي عبد الواحد وافي: "أمّا الهبوط بلغة الكتابة إلى لغة الحديث، واستخدام العاميّة في الشؤون التي نستخدم فيها الآن العربيّة الفصحى، فهو حلٌّ ساذج هدّام لا يكاد يستحقّ عناء المناقشة، وهو لا يقوم في الواقع إلا على مُجردِ الرغبة الآثمة في القضاء على أهمّ دعامةٍ من دعائم الثّقافة في الأمم العربيّة".[5]

ويقول في موضعٍ آخر: "فاللغة العاميّة التي يرى القائلون بهذا الحل استخدامها في الشؤون التي تستخدم فيها الآن العربيّة الفصحى، لغة فقيرة كلّ الفقر في مفرداتها، ولا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي. وهي إلى ذلك مُضطربة كل الاضطراب في قواعدها، وأساليبها، ومعاني ألفاظها، وتحديد وظائف الكلمات في جملها، وربط الألفاظ والجمل

---

[5] المرجع السابق، ص 28.

[6] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، 16، 17.

[7] انظر: حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، 241/2.

[8] انظر: المرجع السابق، 366/2 وما بعدها.

[1] انظر: حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر ، 360/2.

[2] المرجع السابق، 360/2.

[3] المرجع السابق، 361/2.

[4] انظر: الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، 364/2 وما بعدها، والعلولا منيرة بنت سليمان، الإعراب وأثره في ضبط المعنى، 39 وما بعدها، ووافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة،(د.ت)الطبعة السادسة ،دار نهضة مصر، 147 وما بعدها، وشاكر، محمود محمد، أباطيل وأسمار، 263-266، وحسين محمد محمد حصوننا مهددة من داخلها، ص 147، 157، 158، 188 وغيرها.

[5] وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ص 151.

بعضها ببعض، وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقًا على التّعبير عن المعاني الدقيقة، ولا عن حقائق العلوم والآداب والإنتاج الفكريّ المنظم".[6]

4- **الرابعة:** مع إقرار المؤلف بغنى العربيّة في الاشتقاق والتّعريب والتّوليد والمترادف ونحو ذلك، مما أشرنا إليه من قبل، وسقناه عنه، لكنه مؤمن بأننا لا نزال نتكلّمُ بلغة "امرئ القيس" وناصيف اليازجي وهذا كلامٌ غير صحيح البتّة؛ لأن ما ذكره من عوامل تنمية اللغة ينفي عنها صفة التّحجر والوقوف عند حدّ معين بل هي لغة ممتدة، وآية ذلك أنّ المفردات التي نعوّل عليها الآن مختلفة تمامًا عن مفردات امرئ القيس وغير امرئ القيس من الماضين. أما القواعد قواعد النّحو والصرف والصوت فهي بلا ريب ثابتة، لأن قدر هذه اللغة أن ترتبط بالقرآن، وإذا كان المؤلفُ مسكونًا بالخوف والرعب من هذا الجانب، فلا مسوّغ لهذا الرّعب لأنّ "تقديس لغة القرآن والتزام أصولها وقواعدها وأساليبها لم يكن في يومٍ من الأيام داعيًا إلى تحجّر اللغة، وجمود مذاهب الفن فيها، ووقوفها عند حدٍّ تعجز معه عن مسايرة الحياة".[1]

5- **الخامسة:** ما ذكره المؤلفُ عن نكوص العربيّة عن الوفاء بمتطلبات العصر، مردودٌ، لأنّ ما يراه من تراجع عائدٌ إلى أهل اللغة لا اللغة. يقول الرافعي: "والعربيّة قد غنيت بأوضاعها حتى كأنّها خلقت لتماد الزمن، وفيها من أسباب النّمو ما يحفظ عليها شباب الدّهر، غير أنّه أصابها ما أصاب أهلها من تبدّد الكلمة، واضطراب الأمر، ووهن الاستقلال، وتمزّق المجتمع".[2]

و"اللغة صورة الأمة، فإنَّ كلّ ما يعتور هذه يتصل أثره بتلك ضرورة، ولذلك بقيت العربيّة في نفسها على مرونتها الأولى حتى يتاح لها أقوام كأولئك الأقوام، وتفيض لها أقلام كتلك الأقلام".[3]والمؤلفُ نفسه يقول: "ولكن لا يجوز أن تبقى العربيّة على ما هي عليه من العجز في التّعبير إلى أن يخلقَ العلماء والفلاسفة والفنانون العرب مصطلحاتهم وتعابيرهم".[4] فالمشكلة راجعةٌ إلى الإنسان لا إلى اللغة.

6- **السادسة:** وقع المؤلف في خطأ محضٍ حين بنى على موت طائفة من مفردات العربيّة موت اللغة الفصحى. قال: "أليس في عربيتنا اليوم كثير من الممات"؟[5] بلى فيها كثير من الممات وهو المفردات التي نأت عن الاستعمال أو نأى النّاس عنها، أما القواعد فليست من الممات بحال من الأحوال. يقول الرّافعي: "ولو ذهبنا إلى المعارضة تبيّن ألفاظ الحياة العربيّة الأولى وما اختصت به من المعاني، وبين هذه الحياة الحضرية ومستحدثاتها، لرأينا قسمًا كبيرًا من اللغة يتنزل منها منزلة البقايا الأثرية، لأننا لا نحتاجه، ولا هو مما يعد فضلًا عن الحاجة فينتظر به وقتها، وذلك كأسماء الإبل وصفاتها الكثيرة، وكأسماء كثير من الحشرات، وما جاءت به اللغات المتعددة، وهو كثير تطفح به معاجم اللغة...فهو بجملته لا يخرج عما يسمونه وحشيًا".[6]

ويقول المؤلف: "غير أنّ من يعرف لسان العرب" أو "التّاج" أو "القاموس" لا يستطيع إلّا أن يرفعَ قبعته إجلالاً لجامعيها.

ونلاحظ ثانياً أنّ الكثير من هذه الكلمات تعكسُ الحياة الصحراوية البدائية. وهذا طبيعي. وكان على هذه اللغة الصحراويّة الفقيرة بالمفردات التّجريدية الفلسفيّة ،والعلميّة، والفنيّة، والصناعية نسبياً، أن تلين لتطور الحياة العربيّة العقليّة، وقد نجحت في

---

[6] المرجع السابق ،ص 151.
[1] حسين، محمد محمد، حصوننا مهددة، ص 148.
[2] الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، 172/1.
[3] المرجع السابق، 173/1.
[4] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 30.
[5] المرجع السابق، ص 75.
[6] الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، 167/1.

هذا نجاحاً جزئياً، ونلاحظ ثالثاً أنّ هذه الكثرة من المفردات اللصيقة بالحياة البدوية، أصبحت على مرّ العصور مماتة، أماتتها الحياة ونبذتها؛لأنّ الحياةَ العربيّة ابتعدت عن الصحراء وما إليها من بداوة".[1]

يتفق الرّافعي وفريحة في أنّ كثيراً من الألفاظ أو المفردات، قد ماتت في الاستعمال واحتفظت بها المعاجم، غير أنّ الرافعي يقف عند هذا الحد، ولا يرتاب في صلاح العربية، ولا في مرونتها، ولا في غناها، ولا في قدرتها على الوفاء بمتطلبات العصر، في حين أنّ فريحة يبني على هذا الممات تغييراً كلياً في لغةِ اليوم كأنّ العربيّةَ هي طائفةٌ من مفردات خاصة بالإبل والحشرات، والغنم ،ونحو ذلك. قال: "فمن اللاتينية تحدرت لغة حيّة هي الفرنسيّة، والإيطاليّة، والإسبانيّة، وهذه بدورها ستنحلُّ إلى لهجات متعددة يموت بعضها بانحلال المجتمع ويعيش بعضها الآخر بتماسكه ونموه، وإذا قلنا: إن اللغةَ تموت فإنما نقصد بالموت التّغيير الكلي الذي يطرأ على المجتمع، والتّبدل الجذري في الحياة، وفي الظروف المحيطة بالحياة إلى حد نستطيع فيه القول إنّ لغةَ اليوم مغايرةٌ للغة أمس".[2]

لغة اليوم تغاير لغة الأمس – في نظر فريحة– في قطاعات اللغة كلها، أي في التّوجه إلى العاميّة، اللغة "المحكيّة السلسلة السيّالة التي لا تعوق الفكر"[3] وهذا تحريف للكلم عن مواضعه ناتج عن قصور في المعرفة أو ضعف في القياس أو إصرار على اتباع الهوى.

7- السابعة: وقع عند المؤلف تكرار للفكرة الواحدة في غير موضع.

2- مشكلات لغوية:

لخّص المؤلفُ المشكلات اللغويّة في هذا الجزء بأربع مشكلات:[4]

1- وجود لغتين مختلفتين عامية وفصحى.

2- تقييد الفصحى بأحكام شديدة.

3- الخط العربي الخالي من الحروف المصوتة (الحركات).

4- عجز العربيّة عن اللحاق بالعلم والفنون.

وخلاصةُ هذه المشكلات عند المؤلف أنّ العربيّةَ الفصحى، لغة غريبة عن النّاس، "معقدة شديدة الأحكام في التّراكيب والتّعبير"[5]، واللغة العاميّة "تتميز بمرونة في التّركيب وسهولة في التّعبير... وازدواجية اللغة تعوق الفكر".[1] والازدواجية – كما تقدم– ظاهرة في اللغات جميعاً. [2] والمؤلف يقرّ بأنّ "مشكلتنا اللغوية مشكلة كلُّ شعب مزدوج اللغة".[3]

وليت المؤلف ذهب إلى إصلاح اللغة الإنجليزيّة والفرنسيّة لأنّ "الإنجليز يكتبون العلم بلغة لا يفهمها عامتهم يسمونها لغة علميّة. فالعاميّ من الفرنسيين لا يفهم أبحاث رينان في فلسفة التّاريخ، والعامي الإنجليزي لا يفهم ما كتبه سبنسر في فلسفة العمران، والعامي من الألمان لا يفهم ما كتبه شوبنهور في فلسفة الوجود".[4]

---

[1] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 13.
[2] المرجع السابق، ص 74-75.
[3] المرجع السابق، ص 18.
[4] المرجع السابق، ص 20.
[5] المرجع السابق، ص 18.
[1] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة ، 22، 23.
[2] انظر: حسين، محمد محمد، حصوننا مهددة، ص 195.
[3] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 18.
[4] حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، 374/2.

وشكوى المؤلف من تعقيد الفصحى، وسهولة العاميّة شكوى قديمة قال بها أمثال له من قبل:كسلامة موسى ،و عيسى اسكندر المعلوف، و أحمد لطفي السيّد، وقد زعم عيسى اسكندر المعلوف في مقال له نشرته مجلة الهلال سنة 1902م "أنّ اختلافَ لغة الحديث عن لغة الكتابة هو من أهم أسباب تخلّفنا الثقافي، وزعم أنّ من الممكن اتخاذ أيّ لهجة عامية لغة للكتابة كالمصرية أو الشامية، وأنها ستكون أسهل على سائر المتكلمين بالعربيّة – على اختلاف لهجاتهم– من العربيّة الفصيحة".[5]

فدعوى المؤلف هي دعوى عيسى اسكندر المعلوف ومن نحا نحوه، والأدلة هي الأدلة، وقد سبق كلام سقناه عن الدكتور علي عبد الواحد وافي في غنى العربيّة، وقدرتها على التّعبير، وفقر العاميّة في مفرداتها وقدراتها، فضلاً عن تعدد العاميّات، وما يفضي اعتمادها إلى تقطيع الأواصر بين الأقطار العربيّة.

ولا تقوم العاميّةُ مقامَ الفصحى ؛ لأنّ "الفصحى لها صفة الثبات والاستقرار، والقدرة على التّعبير العلمي الدقيق ،والفني المؤثر الجميل. أما العاميّة فهي لهجة متطورة مختزلة وميسرة إلى أقصى حدود الاختزال، والتّيسير لتفي بحاجات التّفاهم السريع الذي لا يُبالي بالدقة العلميّة أو الجمال الفني".[6]

والقول بأنّ الفصحى صعبة مردود "لأنَّ في اللغات الأوروبيّة الحيّة ما هو أشد منها صعوبة وتعقيداً كالألمانية".[7] والذين يشكون من تعقيد العربيّة يتقنون لغتين أو ثلاثا من اللغات الأجنبيّة المعقدة.[8]

وأمّا ما ذهب إليه المؤلف من عجز العربيّة عن الوفاء بمتطلبات العلوم والفنون، فغير صحيح لما ذكرناه من قبلُ من غنى العربيّة وسعتها، ومرونتها، وما تضمه من أسباب النّمو، وعناصر البقاء.

وأمّا المشكلة الرابعة – في نظر المؤلف– المتعلقة بالخط، فقد ذهب في حلّها مذهب عبد العزيز فهمي، الذي دعا إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربيّة، وتتلخص المشكلة في أنّ "العربيّة شأنها في الكتابة شأن سائر اللغات الساميّة التي اقتصرت في الكتابة على الحروف الصامتة، مما يجعل من صورة الكلمة هيكلاً عظمياً لا حياة له، وهذا يجعل عملية القراءة أمراً عسيراً، إذ تفرض هذه الطريقة في الكتابة – كتابة الحروف الصامتة فقط– على القارئ أن يفهم أولاً كما قال قاسم أمين، ثم أن يقرأ قراءةً صحيحة ثانياً".[1]

ويمضي المؤلف في حلّ المشكلة بالإشارة إلى عبد العزيز فهمي ويقول: "وتجدر بنا الإشارة... إلى كتاب قيّم يبحث المشكلة لـــعبد العزيز فهمي باشا وعنوانه "كتابة العربيّة بالحرف اللاتيني"، ففيه توضيح للمشكلة".[2]

ولا أرتاب في أنّ هذه الدعوة دعوة خطرة؛ لأنّها تعتدي على الطوابع الخاصة للعربية، وتقطع ماضيها عن حاضرها، ولو نفّذت هذه الدعوة وكتب لها النّجاح لما أطاق العربيّ الحاضر أن يقرأ شيئاً من كنوز العربيّة وعلى رأسها القرآن الكريم.يقول إسماعيل مظهر: إنّ استبدال الحروف العربيّة بالأعجميّة فيه ضياع لفلسفة هذه اللغة، وضياع لتقاليدها، وطمس لآدابها وجميع أسرارها".[3]

ويلاحظ أنّ هذه المشكلات أو الرّيَب التي نثرها الدكتور فريحة ليس له فيها نصيب، بل هي مقولات قديمة مكرورة نادى بها أسلافٌ له من قبل غربيون وعرب، وقد قام باحثون مخلصون بواجبهم العلميّ والوطنيّ والقوميّ والدّينيّ فكشفوا ما في هذه الدعوات من زيف وخطورة على العربيّة، منهم الدكتورة نفوسة زكريا سعيد في كتابها: "تاريخ الدّعوة إلى العاميّة وآثارها في

---

[5] المرجع السابق، 363/2.
[6] حسين، محمد محمد، حصوننا مهددة، ص 196، وانظر :ص 150، وانظر الرافعي: تاريخ آداب العرب 259/1.
[7] حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، 366/2.
[8] انظر: نفسه، 367/2.
[1] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 26.
[2] المرجع السابق، ص 27، وانظر ص 190.
[3] مظهر، إسماعيل، تجديد العربيّة بحيث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون، ص 79.

مصر"، والدكتور محمّد محمّد حسين في كتابه: "الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر" و "حصوننا مهددة من داخلها"، والدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه: "فقه اللغة" و عباس حسن في كتابه: "اللغة والنّحو بين القديم والحديث"، والدكتورة منيرة بنت سليمان العلولا في كتابها: "الإعراب وأثره في ضبط المعنى" ،والدكتور عبد الجبار جعفر القزاز في كتابه: "الدراسات اللغوية في العراق" ،وغيرها كثير.

3- الحلول:

تتلخص حلول هذه المشكلات التي توهمها الدكتور فريحة"في الدّعوة إلى العاميّة، وإلى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربيّ، وإلى إلغاء الإعراب.

أ- وأمّا العاميّة فقد مضى الحديثُ عنها فهي عند المؤلف لغة قائمة بذاتها.[1] وحيّة ونامية ومتطورة[2]، ومتحررة ومنعتقة[3]، وبعيدة عن الصنعة والزخرف[4] ولا تعرف الجمود[5]، وسلسة سيّالة مرنة[6]، وحيوية ومتطورة تخضع لنواميس طبيعية[7]، إلى آخر هذه الأوصاف التي خلعها عليها، والعربية الفصحى – في نظره- لغة الأجيال الغابرة.[8] وهي لغة صحراوية فقيرة[9]، وعاجزة عن اللحاق بالعلوم والفنون.[10]

وهي "لغة غريبة عن لغة الحياة، معربة، معقدة، شديدة الأحكام في التّركيب والتّعبير".[11] إلى آخر هذه الأوصاف التي يكررها المؤلف في تضاعيف كتابه، غير أنّه في مواطن أخرى يقع في التّناقض، فالعربيّة الفصحى "هضمت مفردات أجنبية كثيرة من اللاتينية، والإغريقية، والآرامية، والفارسيّة، والحبشيّة".[12] وهي في الوقت نفسه – عند المؤلف- تفتقر "إلى الدّقة في تحديد المعنى، وأول ما يتطلبه العلم: التّحديد والوضوح".[13] ثم يقول: "ومما لا شك فيه أنّ العربيّة غنيّة في بعض النّواحي، كأن يكون للشيء الواحد، عشرات، لا بل مئات من الأسماء".[14]

ويقول في موضعٍ آخر: "إنَّ اللغة العربية غنية بمفرداتها في نواحٍ كثيرة، عظيمة الإمكانيات في اشتقاقها وقياسها، وقد استطاعت يوماً أن تنقل إليها حضارات الشرق الأدنى عن طريق التّرجمة ،والتّعريب ،والتّوليد، وإحياء مفردات قديمة وإسباغ المعاني الجديدة عليها".[15]

ولكنه بعد ذلك يقول: إنّ العربيّة نجحت نجاحاً نسبياً في ليونتها مع "تطور الحياة العربيّة العقليّة".[16]

والمفردات المترادفة التي عدّها من مزايا العربيّة وغناها فيما سلف لم تعد كذلك في قوله: "وقضية المفردات لا تدخل في صميم اللغة، فنحن نباهي مثلاً أن للشيء الواحد عندنا أسماء عديدة، وللفعل الواحد أفعالاً عديدة، ولكن غيرنا يرى في ذلك

---

[1] فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، 122.
[2] المرجع السابق، 123، ص 130، 129، 117.
[3] المرجع السابق، 131
[4] المرجع السابق، ص 11.
[5] المرجع السابق، ص 71
[6] المرجع السابق، ص 22.
[7] المرجع السابق، ص 129
[8] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، 18.
[9] المرجع السابق، ص 13، ص 55.
[10] المرجع السابق، ص 27.
[11] المرجع السابق، ص 18.
[12] المرجع السابق، ص 30.
[13] المرجع السابق، ص 30.
[14] المرجع السابق، ص 30.
[15] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 28، وانظر قدرتها على التّوليد، ص 15.
[16] المرجع السابق، ص 13.

إسرافًا".[1] وفي موضع آخر يحمد الله على أن العاميّة لا تعرف من أشكال الأرز سوى شكل واحد هو "الرز". قال "وكلمة بسيطة مثل "الرز" هذا الطعام الذي نراه كل يوم على مائدة من موائد الطعام له في القاموس: أشكال عديدة: الأرزٌ، والآرزٌ، والرزٌ... أما في العاميّة فللأسد كلمة واحدة، وللسيف كلمة واحدة، وللعسل كلمة واحدة. واتفقت العاميّة أسهل الألفاظ للرز، والحمد لله على هذه النّعم".[2]

وبعد هذا كله، أي بعد غنى العربيّة في مفرداتها، ومترادفاتها، واشتقاقها، وقياسها، ونجاحها النّسبي، يحمد الله على انتقاء العامية لشكل واحد للأرز، وليته وقف عند هذا، بل الفصحى "عاجزة عن التّعبير عن هذه الحياة الجديدة".[3] وفي موضع ثانٍ "لا يجوز أن تبقى العربيّة على ما هي عليه من هذا العجز في التّعبير".[4] وصورة الكلمة فيها هيكل عظمي".[5]

وأحسن ما يوصف به كلام الدكتور فريحة بأنه كلام متناقض، هذا إذا لم يكن ما سطره من مزايا اللغة الفصحى من باب خداع القارئ الحريص على لغته حتى يقبل على حلوله المريبة بقلب سليم.

ب- استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي:

مع أنَّ المؤلف يقرُّ بأنَّ العربيّة في تاريخها الطويل هضمت حضارات الشرق الأدنى كالفارسية ،واليونانية ،واللاتينية ،والآرامية، وغيرها، وأنها لغة غنيّة، فيها قدرة فائقة على التّوليد ونحو ذلك، مع أنّ المؤلف كذلك، لكنه راح يدعو إلى اصطناع الحرف اللاتيني بدلاً من الحرف العربي في الكتابة اقتفاء بـــ :عبد العزيز باشا الذي قدَّم مقترحاً إلى مجمع فؤاد الأوّل (مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة الآن) سنة 1944م، يدعو فيه إلى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي، ثم طبع المقترح في المطبعة الأميريّة بالقاهرة سنة 1946م،يقول الدكتور فريحة: "وحرفنا العربي لا يصلح لتدوين هذه اللهجة، كما أنّه لا يصلح لكتابة الفصحى به ؛ وذلك لأنّ الحرف العربي الخالي من الحروف المصوتة لا يمكن أن يضبط به لفظ الكلمة ضبطاً دقيقاً، بل تظلُّ الكلمة هيكلاً عظمياً لا حياة له إلى أن يسبغَ عليها القارئ الحياة. وحياة الكلمة العربيّة في دماغ العربي لا في الصحيفة التي أمامه. وفضلاً عن هذا فإن الكلمة العربيّة المكتوبة بحروف صامتة عرضة لقراءات مختلفة، نحن من الذين يعتقدون أن كتابة العربيّة بالحرف اللاتيني، كما اقترحه عبد العزيز فهمي باشا يضبط لفظ اللغة مرة واحدة لجميع النّاس". [6]

والحقيقة أنّ عبد العزيز فهمي باشا ليس أول من دعا إلى اصطناع الحرف اللاتيني بدلاً من الحرف العربي، فهناك الدكتور داود الجلبي الموصلي الذي يقول في مقدمة اقتراحه: "كنت أوّل من اقترح استبدال الحروف اللاتينية من الحروف العربيّة، وطبعت ونشرت رسالة بالتّركية في استنبول بتاريخ 1326ه، حثثتُ فيها التّرك ،والعرب ،والإيرانيين على استعمال الحروف اللاتينية... ودافعتُ عن رأيي في حاجتنا إلى تبديل الحروف العربيّة بالحروف اللاتينية على صفحات جريدة العراق في بغداد في أواخر سنة 1928م وأوائل سنة 1929م". [1]

وقبل داود الجلبي اقترح "ولهلم سبيتا" سنة 1880م في كتابه قواعد اللغة العربيّة في مصر، استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية[2]. لذلك لم يكن الجلبي ولا عبد العزيز فهمي أوّل من اقترح هذا الاقتراح، غير أنّ عبد العزيز أوّل من اهتم بالفكرة

---

(1) فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة ص 73.
(2) المرجع السابق، ص 131.
(3) المرجع السابق، ص 28.
(4) المرجع السابق، ص 28، وانظر ص 20، وثمة مواضع كثيرة من هذا القبيل.
(5) المرجع السابق، ص 26.
(6) المرجع السابق، ص 190.
(1) القزاز، عبد الجبار جعفر، الدراسات اللغوية في العراق، ص 193.
(2) سعيد، نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العاميّة وآثارها في مصر، ص 207.

اهتماماً جدياً في مصر، أدخل عليها بعض التّعديلات، وبذل جهوداً كبيرة لتدعيمها لكي يغري النّاس بقبولها[3] وينبني على هذه الدّعوة إضافة حروف إلى العربيّة ليست موجودة فيها، كما صرّح بذلك عبد العزيز فهمي باشا[4] نفسه، فضلاً عن أن هذه الدعوى تقطع حاضر العرب عن ماضيهم وتحرمهم من كنوز تراثهم، وتحرمهم من قراءة القرآن، لأنّ هذا التّراث، وهذا القرآن قد كتب بحرف عربي، وإذا كانت الصعوبة من كتابة الحرف العربي هي الدافع وراء المقترح، فإن ثمّة لغات أجنبية أشد صعوبة وتعقيداً من العربيّة كالألمانية. [5]يضاف إلى ذلك أنّ "مطابقة الصوت المسموع للصورة المقروءة هي في العربية أوضح منها في الإنجليزية والفرنسية... فالفرنسي يسقط من النّطق أربعة حروف من أواخر الكلمات في كثير من الأحيان. والإنجليزي يفعل ذلك في مثل حرفي (H) و (O) في (Honour) وحرفي (gh) في (Right) وفي (through)... الخ".[6] وفي الردّ على هذه الدعوة تفصيل في كتاب "تاريخ الدعوة إلى العاميّة وآثارها في مصر" للدكتورة نفوسة زكريا سعيد[7]، وكتاب "الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر" للدكتور محمد محمد حسين[8] وعبّاس حسن في كتابه "اللغة والنّحو بين القديم والحديث"[9] وكتاب "الإعراب وأثره في ضبط المعنى لـــمنيرة بنت سليمان العلولا[10] وكتاب فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي.[11]

وقبل أن أفارق مكاني من الحديث عن هذا المقترح أو هذه الدعوة، لا أجد بأساً من أن أختم حديثي عنها بكلمة لإسماعيل مظهر قال: "وهي مسألة – يعني هذه الدعوة– طارت من حولها نار الجدل، واشتعلت لظاها ثم أصبحت الآن رماداً ،تذروه الرّياح... إنّها صيحة ليس لها من دافع، اللهم إلاّ الجهل بأصول هذه اللغة الكبيرة، وأعني بأصولها فلسفتها وأسرارها... على الجملة أقول: إنّ استبدال الحروف العربيّة بالأعجميّة فيه ضياع لفلسفة هذه اللغة، وضياع لتقاليدها، وطمس لآدابها وجميع أسرارها، ومجمل الأمر أنّ اللغة العربيّة لغة كاملة انحدرت إلينا تامة الأجزاء، موحدة القسمات." [1]

ج– إلغاء الإعراب:

الإعراب في نظر الدكتور فريحة "لا يتلاءم والحضارة"[2] وهو "بقيّة من البداوة"[3] وهو "عقبة في سبيل التّفكير"[4] ،وهو "زخرف لا قيمة له في الفهم والإفهام".[5] ويكرر فريحة أفكاره ويلح في تكرارها فيقول: "وأكرر القول للمرة الثالثة أو الرابعة أنّ الإعرابَ ليس له قيمة بقائية، ولو أنّه كان ضرورياً للفهم والتّفاهم لأبقت الحياة عليه، ولكن لأنّه زخرف، ولأنّه بقيّة من بقايا العقليّة القديمة في اللغة في كلّ لغة، فإنّ الحياةَ نبذته". [6]

---

[3]سعيد، نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العاميّة وآثارها في مصر، ص 208، و انظر ص 144، وانظر ص 208-219، والعلولا، منيرة بت سليمان، الإعراب وأثره في ضبط المعنى، 37، 38، 43.

[4]فهمي، عبد العزيز، تيسير الكتابة العربية، ص 24.

[5]انظرحسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، 366/2.

[6]حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، 366/2.

[7]انظر: سعيد، نفوسة زكريا، تاريخ الدّعوة إلى العاميّة وآثارها في مصر، 208-219.

[8]انظر: حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنيّة في الأدب المعاصر، 376/2، و ما بعدها.

[9]انظر: حسن عباس، اللغة والنّحو بين القديم والحديث، 266 وما بعدها.

[10]العلولا، منيرة بنت سليمان، الإعراب وأثره في ضبط المعنى، ص 37-43.

[11]وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، 260 وما بعدها.

[1]مظهر، إسماعيل، تجديد العربيّة بحيث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون، ص 78-79.

[2]فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 123.

[3]المرجع السابق، ص 123.

[4]المرجع السابق، ص 184.

[5]المرجع السابق ،ص 123

[6]فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 184.

ويقول في موضعٍ آخر: "ولو أنّ للإعراب ضرورة للفهم والإفهام لبقي ولحافظت عليه جميع اللغات التي كانت معربة، ولكن لكونه غير ضروري سقط". [7] فالإعرابُ لا علاقة له بالفهم والإفهام – في نظر المؤلف– غير أنّه يقول في موضعٍ آخر: "قد يساعد الإعراب على الفهم ومنع الالتباس، ولا سيما في المواضع التي فيها تقديم وتأخير في مرتبة المفردات كما يقع في الشّعر والنّثر الفني، ولكن حكمه في ذلك حكم أية قرينة أخرى تساعد على الفهم".[8]

كلامُ فريحة هذا يعترف بوجود إعراب، وهذا الإعراب قرينة من القرائن المساعدة على الفهم والإفهام، فهو ليس زخرفاً إذن، وأما أنّه بقيّة من البداوة فإنّ ثمّة شعوباً أوروبيّة متقدمة لغتها معربة كاللغة الألمانيّة، وكان الظنُّ والمأمول أن يلتزمَ فريحة الحيدة وألا يربط بين الإعراب والتّقدم أو التّأخر، لكنه راح يهاجم كلّ لغة معربة قال: "وبقاء الإعراب في بعض اللغات الأوروبية ليس دليلاً على قيمته البقائية، إنما هو دليل على الرجعية في اللغة، وهاهي الإنكليزية التي لم يبق للإعراب فيها من أثر كبير، تعبر عن الفكر والعلم والفن بيسر".[9]

ومع إقرار فريحة بأنّ العربيّةَ لغةٌ معربة، يحاول أن يجد له متكئاً من الماضي يتكئ عليه ولو كان وهماً، من ذلك ما زعمه من أنّ – ابن خلدون– رأى في الإعراب زخرفاً لا قيمة له[1]، وأنّ العرب أسقطوا الإعراب منذ الصّدر الأوّل، ودليله على ذلك قول أبي بكر: "لأن أقرأ فأسقط أحب إليّ من أن أقرأ فألحن".[2] وقول النّبي –صلى الله عليه وسلم– عندما لحن رجل في حضرته: "أرشدوا أخاكم". وقول الرسول –صلى الله عليه وسلم –"أعربوا القرآن"[3]. هذا كله – في نظر فريحة– أدّلة على سقوط الإعراب. قال: "ولا تظنن أنّ النّاس أسقطوا الإعراب تعمداً، أو خروجاً على نورم اللغة، أو مشاغبة، أو شعوبية، كلاّ إنّما سقط الإعراب من تلقاء ذاته كما سقط في سائر اللغات الساميّة، وغير الساميّة لأنّه ليس له قيمة بقائيّة".[4] بل إنّه يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول: "إنّ إسقاط الإعراب من لغة النّاس المحكية سبق نزول القرآن الكريم، غير أنّ القرآن الكريم نزل بلغة الأدب ،والشّعر، والدّين لذلك العصر".[5]

ومن الأدّلة التي ساقها الدكتور أنيس فريحة لتعضيدِ مشروعه في سقوط الإعراب: "أنّ كثيراً من اللغات الكلاسيكيّة كانت معربة كاللاتينية ،والإغريقية، والسنسكريتية، ويظهر أنّ الإعرابَ ميزةٌ من مميزات اللغة القديمة. ولكنّنا إذا أخذنا اللغةَ عامة، وجدنا أن الميلَ هو لإسقاط الإعراب. فمن اللغات السامية لا نجد لغةً معربة سوى العربيّة الفصحى. قد نجد في هذه اللغة أو تلك بقايا إعراب، ولكن نستطيع أن نعمّمَ القول في أنّ اللغات الساميّة باستثناء العربية الفصحى لا المحكية أسقطت الإعراب، وكذلك أسقطت اللهجات التي تحدرت من اللاتينية كثيراً من الظواهر الإعرابيّة".[6]

وما قاله الدكتور فريحة مجافٍ للحقيقة، وفيه خطأ في الفكر، وخطأ في قراءة التّاريخ والنصوص من عدة جهات:

1- **الجهة الأولى:**

لا يجوز الربط بين الإعراب أو التّقدم أو التّأخر، فثمّة شعوب متقدمة كالشعب الألماني، ولغته معربة، وثمّة شعوب متقدمة ولغتها غير معربة كالإنجليز. وثمّة شعوب متراجعة ولغتها غير معربة كشعوب ما يسمى العالم الثّالث. ويعضد

---

[7] المرجع السابق، ص 127.
[8] المرجع السابق، ص 123.
[9] المرجع السابق ، ص 127.
[1] انظر: فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة ، ص 124.
[2] المرجع السابق، ص 124.
[3] المستدرك على الصحيحين 312/8 ، وانظر نحو عربية ميسرة ،ص 124.
[4] فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، ص 125.
[5] المرجع السابق، ص 125.
[6] المرجع السابق، ص 127.

كلامي هذا أنّ الدكتور فريحة يقول في خاتمة كتابه: "كان العرب ذات يوم أقوياء؛ وكان لهم يد في بناء الحضارة العالمية في العصور المتوسطة، كانوا أقوياء ؛ لأنّهم أيقنوا في قرارة نفوسهم أنّ عندهم رسالة. وصاحب الرسالة ملهب الخيال، ودقيق الشعور، صادق العزم قوي الإرادة، والواثق بنفسه جبار يأخذ ويعطي، يقتبس ويجتهد، يحوّر ويغيّر، يؤمن ويشكّ، يلجأ إلى العقل كما يلجأ إلى القلب. ولكن ذات يوم أفاق العرب فإذا هم ضعفاء، فقدوا السلطان فأفقدهم الثّقة بالنفس، وأضعف فيهم دوافع الحياة، وخبا نور الرسالة فانكمشواعلى ذواتهم وارتضوا العيش على هامش الحياة".[1] المسألةُ إذن راجعةٌ إلى تراجع الأمة في الميادين كافة، وإلى فقدان الرّسالة التي حملوها للبشرية، لا إلى الإعراب ولا إلى عدمه.

نهوضُ الأمة لا يمكن أن يبنى على سقوط الإعراب، ولا على اعتماد الحرف اللاتيني، ولا على العاميّة، وإنما يبنى على نهضة فكريّة وسياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة، والثقة بالحاضر، والاعتداد بالماضي، والأخذ بأسباب المدنيّة لتتحول الأمة من مستهلكة للتكنولوجيا إلى صانعة لها، كما هو الحال في الأمم الأخرى. والمؤلف نفسه يقول في موضع ثانٍ من كتابه: "ولكن لا يجوز أن تبقى العربيّة على ما هي عليه من هذا العجز في التّعبير إلى أن يخلق العلماء والفلاسفة والفنانون العرب مصطلحاتهم وتعابيرهم؛ لأنّ الحياة العصريّة تتطلب منّا أن نلحقَ بركب الحضارة". [2] إذن المسألة ليست لغوية، المسألةُ مسألة حضارة مدنيّة، فإن أخذ العربُ بأسباب التّقدم في جميع الميادين نهضوا وارتفعوا، واللغة ترتفع بارتفاع أهلها، وتنحط بانحطاطهم".[3]

2- **الجهة الثانية:**

ما نسبه الدكتور فريحة إلى ابن خلدون من أنّ الإعرابَ لا قيمة له غير صحيح. بيانُ ذلك أنّ هناك مسألتين في درس ظاهرة الإعراب في العربيّة. المسألة الأولى تتعلق بأصالة الإعراب أو عدم أصالته، والمسألة الثانية تتعلق بالوظيفة التي يؤديها الإعراب. فأمّا المسألة الأولى فلم يرتب أحد من علمائنا المتقدمين في أصالة الإعراب، بل نظروا إليه على أنّه خاصة من خصائص العربيّة. يقول ابن فارس: "من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب الإعراب".[4] ويقول الزّجاجي: فان قال فأخبروني عن الكلام المنطوق به الذي نعرفه الآن بيننا، أتقولون إنّ العربَ كانت نطقت به زماناً غير معرب ثم أدخلت عليه الإعراب، أم هكذا نطقت به في أوّل تبلبل ألسنتها؟ قيل له: هكذا نطقت به في أوّل وهلة، ولم تنطق به زماناً غير معرب ثم أعربته.[5] فالقدماء لم يرتابوا في أصالة الإعراب، فضلاً عن أنّ الباحث يقرُّ بأنّ العربية معربة فيما قدمناه عنه فيما سلف، غير أنّ بعض الباحثين المعاصرين من مستشرقين وعرب ارتابوا في أصالة الإعراب مثل المستشرق فولرز وقد ردَّ عليه المستشرق ثيودور نولدكه[1] ومن القائلين بعدم أصالة الإعراب من العرب، خليل السكاكيني و إبراهيم أنيس، وقد رد عليهم عدد من الباحثين وأثبتوا بطلان ما ذهبوا إليه، وقد بسطت الدكتورة فاطمة إسماعيل هذا كله في أطروحتها "ظاهرة الإعراب عند الباحثين المحدثين".

---

[1] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 215.
[2] المرجع السابق، ص 30.
[3] انظر الرافعي: مصطفى صادق، 1972،وحي القلم،،مصر ،دار المعارف ، 32/3 وما بعدها.
[4] ابن فارس، الحسين بن أحمد،1977م، الصاحبي،تحقيق السيّد أحمد صقر ،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص 76.
[5] الزجاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النّحو، 67-68.
[1] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 125.

أمّا وظيفةُ الإعراب فلكل عالمٍ أن يُفسرَ هذه الظاهرة الإعرابية بما يراه مُناسبًا، فالقدماء أجمعوا على أنّ الوظيفة الإعرابيّة تكمن في التّمييز بين المعاني المختلفة[2]– باستثناء قطرب– الذي رأى أن الإعرابَ للتخلص من التقاء الساكنين".[3] وتابعه على ذلك إبراهيم أنيس في كتابه "من أسرار اللغة".[4]

أمّا ابن جني فيؤمن بأنّ الإعرابَ للتمييز بين المعاني المختلفة، ولكن إذا خفي الإعراب في مثل: ضَرَب يحيى بشرى، عوّلنا على القرينة وعلى التّرتيب. قال: "هو –أي الإعراب – الإبانة عن المعاني بالألفاظ، فإن قلت: فقد تقول: ضرب يحيى بُشرى، فلا تجد هناك إعراباً فاصلاً، وكذلك نحوه: قيل: إذا اتفق ما هذه سبيله، مما يخفى في اللفظ حاله، ألزم الكلام من تقديمِ الفاعل، وتأخيرِ المفعول، ما يقوم مقام بيان الإعراب".[5]

في ضوء ما قدمناه نفهم مقولة ابن خلدون، فـــابن خلدون لا يرى أنّ الإعرابَ للتمييز بين المعاني المختلفة، لأنّ الذي غيّر المعاني جملة القرائن. "ويتميز عندهم الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب".[6] وقال في موضعٍ آخر: "ولم يفقد منها إلا دلالة الحركات على تعيين الفاعل والمفعول فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير، وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد".[7]

فابن خلدون يعوّل على القرائن، كما عوّل عليها – عند خفاء الإعراب– ابن جني، وهذا كله لا يعني أبداً بأن ابن خلدون نادى بإسقاط الإعراب، ولكنه صرّح نافياً أن تكون وظيفته قائمة على التمييز بين المعاني المختلفة، كما أجمع على ذلك النّحاة من قبل – باستثناء قطرب– ثم أنّى لابن خلدون أن يقولَ هذا وهو الذي يقرر أنّ النّحو أحد الأركان الأربعة للسان العربي، والواجب على أهل الشريعة معرفتها ضرورة، بل الأهم والمقدم منها هو النّحو تتبين أصول المقاصد[8] ومن قبل الدكتور فريحة أخطأ الدكتور علي عبد الواحد وافي في قراءة ابن خلدون حين قال: "بل لقد جنح إلى هذا الاتجاه بعض قدامى الباحثين أنفسهم، ومنهم العلامة ابن خلدون[1] ويريد بالاتجاه الهبوط إلى العاميّة[2]، غير أنّ الدكتور وافي وإن أخطأ في قراءة ابن خلدون لكنه لا يريد أبدا شيئاً مما توهمه الدكتور فريحة وقاس عليه. واضح إذن أنّ الدكتور "فريحة" يخلط بين مسألتين خلطاً شديداً بين أصالة الإعراب أو عدمه وبين الوظيفة التي يؤديها.

3- الجهة الثالثة:

استدل الدكتور فريحة على سقوط الإعراب بقول النّبي –صلى الله عليه وسلم–: "أرشدوا أخاكم" وبقول أبي بكر: "لأن أقرأ فأسقط ... الخ" واستدلاله غير صحيح؛ لأنّ الرجلَ الذي أخطأ بحضرة النّبي –صلى الله عليه وسلم– وقع في اللحن، أي مفارقة الإعراب، ولم يناد بإسقاط الإعراب، وكذا يفهم كلام أبي بكر يقول الرّافعي: "والمراد باللحن الزيغ عن الإعراب، وهو أول ما اختبل من كلام العرب ولم يكن منه قبل الإسلام شيء.

---

[2] الزّجاجي، ابوالقاسم،1959، الإيضاح في علل النّحو،تحقيق الدكتور مازن المبارك ،القاهرة ،دار العروبة، ، ص 69، وابن فارس، أحمد بن الحسين، الصاحبي، ص 76.

[3] الزّجاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النّحو، ص 70.

[4] انظر أنيس: إبراهيم، 1966،من أسرار العربية،الطبعة الثالثة ،مكتبة الانجلو المصرية ،، قصة الإعراب.

[5] ابن جني، أبو الفتح عثمان، 1952، الخصائص،تحقيق محمد علي النّجار ،الطبعة الثانية،دار الكتب المصريّة ،35/1.

[6] العلولا، منيرة بنت سليمان، الإعراب وأثره في ضبط المعنى، ص 23.

[7] المرجع السابق، 21.

[8] المرجع السابق، ص 25.

[1] وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ص 150.

[2] انظر: المرجع السابق، ص 149-150.

وقد رووا أنّ رجلاً لحن بحضرته – يعني النّبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: "أرشدوا أخاكم فقد ضلّ" ويروي: "فإنّه قد ضلّ، فلو كان اللحن معروفاً في العرب قبل ذلك العهد، مستقرّ الأسباب التي يكون عنها لجاءت عبارة الحديث على غير هذا الوجه، لأنّ الضلال خطأ كبير، والإرشاد صواب أكبر منه في معنى التّضاد، بل إنّ عبارة الحديث تكاد تنطق بأنّ ذلك اللحن كان أوّل لحنٍ سمعه أفصح العرب –صلى الله عليه وسلم–".[3] وأما كلمة أبي بكر فتعني استفظاع اللحن، وأنّ أبا بكر يستحب "أن يسقط القارئ الكلمة من قراءته على أن يلحن فيها"؛ لأنّ لحن العربي خور في طبعه، فهو من هذه الجهة لا يستقيم إلا بمراجعته والتّغيير عليه حتى يثبت على الصواب بنوع من التّعليم والتّلقين، وأنى لهم ذلك؟ فلا جرم كان إسقاط الكلمة، وهو في حكم السهو خيراً من إثبات اللحن الطبيعي فيها، وهو في حكم العمد".[4]

4- **الجهة الرابعة:**

ما ذهب إليه الدكتور فريحة أنّ إسقاط الإعراب من لغة الناس المحكية سبق نزول القرآن الكريم" غير صحيح.[5]

يقول الرّافعي: :"فلا عبرة بما يهجس به بعض أولئك الذين تراهم في مجازفتهم وتخرصهم كأنّما يشرحون للنّاس علم الغيب، فيزعمون أنّ العاميةَ كانت لغةَ بعض العرب في الجاهلية الأولى، وأنّ القومَ كان لهم فصيح وعامي... فلا يمكن أن يقال انّه كان للعرب فصيح وعامي، إلا إذا أجرينا عليهم أحكامنا، وألزمناهم ما لزمنا من ضعف النّظر، وسوء التأوّل...، فلو أنّهم عرفوا لهم عامية أو ما هو في حكمها، لأشاروا إليها في بعض الروايات، ولما صحّ أن يعدوا ما نقلوه عنهم في باب اللغات... فلا سبيل إلى القول، إذن بأن للعرب فصيحاً وعامياً، إلاّ بعد فشو هذا الفساد العربي في منطقهم منذ القرن الخامس، ، أمّا ما وراء ذلك في بادية العرب فلحن أو لغة لا أكثر".[1] ويقول في موضعٍ ثانٍ: "نقطع بأنَّ اللحن لم يكن في الجاهلية البتة، وكل ما كان في بعض القبائل من خور الطباع، وانحراف الألسنة فإنما هو لغات لا أكثر".[2]

وباختلاف اللغات نفسر خروج بعض الكلام العربي من شعر أو نثر أو أمثال عن القاعدة النّحويّة، ولا نفسره بأنّه دليل على سقوط الإعراب.

5- **الجهة الخامسة:**

يحاول الدكتور فريحة أن يسوغَ دعوته إلى إلغاء الإعراب بما جرى في اللغات السامية – باستثناء العربيّة– وما جرى في اللاتينية والإغريقية والسنسكريتية، وقد سقنا هذا فيما مضى. وهذا مردودٌ ؛ لأنّ الأصلَ في العالم أو الباحث أن يفيد مما عند الأمم الأخرى من علوم أو آداب أو فنون أو نحو ذلك، من غير أن يجورَ على لغته وعلى خصائصها، وطوابعها المستقلة. أظنّ من الثابت أنّ كلّ عربي غيور على لغته حريص عليها، يأبى أن تكون لغته مطيّةً ذلولاً، وتابعاً تبعية مطلقة لنواميس اللغات الأخرى من غير التفات إلى النواميس الخاصة بلغته.

وخلاصةُ ما يرمي إليه الدكتور فريحة إنشاء لغة عربية مشتركة تعتمد العاميّة، الخاليّة من الإعراب، المكتوبة بحرف لاتيني، وبذلك يكون الدكتور فريحة قد فرّغ مقولات بعض المستشرقين ومن تابعهم من العرب كـــسلامة موسى ،وعيسى اسكندر المعلوف،وقاسم أمين، وعبد العزيز فهمي، وليس له من هذه الدعوات غير تكرارها،

[3] الرّافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، 237/1.
[4] المرجع السابق، 235/1.
[5] انظر: فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، ص 125.
[1] الرّافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، 252/1-254.
[2] المرجع السابق، ص 237.

والإلحاح على تكرارها في غير موضعٍ من كتابه إلحاحاً يبعث على السأم. والموضوعات التي عالجها في كتابه يفتقر عرضها إلى الدّقة والتّغلغل العميق في بطون مظانها، بل إنّ عرضها أشبه ما يكون بعرض عناوين موضوعات لا معالجة موضوعات، فضلاً عن قراءة الدكتور فريحة الخاطئة لكثير من نصوص المتقدمين. يضاف إلى ذلك التناقض الملحوظ في أحكامه، وقد سقنا طرفاً منه، ولا بأس من تكرار بعضه، فالعربيّة الفصحى، لغة فقيرة، صحراوية، لغة البداوة، صعبة، معقدة، مرهقة، ليست لغة الحياة، بل هي لغة العصر الجاهلي، وصدر الإسلام، وهي لغة الأجيال الغابرة، والانتقال من العاميّة إلى الفصحى انتقال إلى لغة مغايرة وهي لغة غريبة عن الناس، ولا تمثل النّاس... الخ.[1]

هذه الأحكام وهي في الوقت نفسه لغة غنية بمفرداتها، هضمت حضارات الشرق الأدنى مثل الحضارة الإغريقية، والفارسية، والآراميّة ونحوها، وفيها قدرة على التّصعيد، والتّوليد، وإمكانات في الاشتقاق عديدة... الخ. [2]

والإعراب ليس ضرورياً للفهم والتفاهم[3]، ولكنّه في الوقت نفسه قد يساعد على الفهم[4]. والتّرادف دليل غنى في العربيّة[5]، ولكنّه في الوقت نفسه ضربٌ من البهلوانيات.

يقول فريحة: "قد تقول هذا غنى في اللغة، واقتصار العاميّة على معنى واحد فقر وانحطاط. أما نحن فنخالفك الرأي، ونعتقد أن هذا من دلائل الحياة.الحياة لا تقبل الغموض، والإبهام، ولا تتحمل الأحاجي والبهلوانيات"[6]. واللغة العاميّة في نظره لغة قائمة بذاتها في صرفها، ونحوها، واشتقاقها، وأصواتها، وتوليدها، وقياسها[7]، ولكنّها في الوقت نفسه تعتمد العاميّة التي ينشدها الدكتور فريحة الفصحى معينا لها. قال في خصائص اللهجة العربية المحكية المشتركة إنّها تقوم على إلغاء الإعراب، وتعتمد الفصحى معينا لها".[8]

وقال في موضعٍ آخر: "ولكنّنا نلاحظ أن اللهجة العربيةَ المشتركة... تعتمدُ الفصحى ينبوعاً لإنمائها في المفردات والتّعابير والأساليب. والعربيّة الفصحى غنية بمفرداتها وتعابيرها، ويجب أن تكون معيناً يستقى منه كما تستقي اللغات الأوروبيّة من اللاتينية والإغريقية".[9]

كان خليقاً بالدكتور فريحة ما دام يؤمن بأنّ العاميّة لغة حيّة ناميّة مختلفة عن الفصحى، أن يجعلَ عنوان كتابه: "نحو عاميّة ميسرة" أو "نحو عربيّة عاميّة ميسرة" لا "نحو عربيّة ميسرة"؛ لأنّ العربيّةَ الفصحى قدرها أن ترتبط بالقرآن؛ لأنّ القرآنَ سببُ انتشارها في الماضي، وهو سببُ ارتفاعها، أو أن يترك الدكتور فريحة الأمر على حاله، فالازدواجية ظاهرة لغويّة إنسانيّة عامّة[1].

ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: "على أنّ اختلافَ لغة الكتابة عن لغة الحديث لا ينطوي على شيء من الشذوذ حتى نتلمس له علاجاً، بل هو السّنّة الطبيعية في اللغات".[2]

---

[1] انظر: فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، 13، 25، 116، 117، 122، 133، 136، 144، 156، 166، 173، 187 وغيرها.
[2] المرجع السابق: ص 16، 28، 30، 187.
[3] المرجع السابق :ص 184.
[4] لمرجع السابق:ص 123.
[5] لمرجع السابق: ص 12-13.
[6] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 132-133.
[7] انظر: المرجع السابق، ص 117، وانظر أيضاً:116، 121.
[8] المرجع السابق، ص 183.
[9] المرجع السابق، ص 187، وانظر ص: 181-186.
[1] انظر: حسين، محمد محمد، حصوننا مهددة من داخلها، ص 148، وما بعدها، والاتجاهات الوطنية 374/2 وما بعدها.
[2] وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ص 155.

ويقرّ الدكتور "فريحة" نفسه بوجود عاميّة وفصحى في اللغتين الإنجليزية والفرنسية[3]" وتكرار الفكرة الواحدة في غير موضع من المواضع في تضعيف كتابه مرّات ومرّات، وهو ما أشرنا إليه، يبعث على الملالة.

4- عقابيل الحلول:* وهي جهات:

الجهة الأولى: إنشاءُ لغة عاميّة مشتركة خالية من الإعراب – في تصور الدكتور فريحة- سيفضي إلى مشكلات لا حصر لها، وقد أحسَّ بهذه المشكلات وقال: "وهذا أخطر ما تجابهه أمة تحاول أن تحلّ لغتها العامية محل لغتها الفصحى".[4]

وقال في موضعٍ آخر: "ويعنى الجزء الثالث بحلّ المشكلة، وما يترتب على الحل من مشاكل فكرية ودينية[5] ". وأوّل هذه المشكلات القضاء على الآصرة اللغوية التي تربط العرب. وفي محاولة من الدكتور فريحة للتخفيف من وطأة هذه النتيجة يقول: "ولو كانت اللغة الرابطة الوحيدة لكانت الشعوب التي تتكلّم الإنجليزية دولة واحدة، ولكانت الدول التي تتكلّم الألمانية دولة واحدة"[6]. لم يقل أحد بأنّ اللغةَ هي الرباط الوحيد بين الشعوب، ولكنّها رابط من روابط كثيرة، فثمّة روابط الفكر، والتّاريخ، والجغرافيا... الخ، ومقترح الدكتور فريحة يقضي على ما تبقى من روابط بين العرب، وليس قضاء على الرابط الوحيد الذي يربط الشعوب. فقوله إذن فيه مغالطة إلى حدٍ كبير، وهذه المغالطة تمثل الخطورة الأولى.

والدكتور فريحة يخادعُ القارئ حين يقول: "أخطر ما تجابهه أمة تحاول أن تحلّ لغتها العامية محل لغتها الفصحى" ووجه المخادعة أنّ الأمّة لا تحاول أبداً، والذي يحاول هو الدكتور فريحة ومن نهج نهجه وهم قلّة لا يعتد بها.

والخطورة الثانية – وحقها أن تكون الأولى- المترتبة على مقترح الدكتور "فريحة ماذا سيحلّ بالقرآن الكريم إذا اعتمد النّاسُ العاميّة المكتوبة بحرفٍ لاتيني وخالية من الإعراب؟.

يقول الدكتور فريحة في الإجابة عن هذا التساؤل: "القرآن الكريم سيخلد، سيبقى على ما هو عليه، كما بقيت كتب دينيّة عديدة رغم انحراف لغة النّاس عن لغة هذه الكتب، ورغم انحراف لغة النّاس عن لغة هذه الكتب المقدسة، فإنّها حافظت على روعتها وجلالها ومقامها الديني... وهاهي الكنيسة الكاثوليكية فإنها تعد الترجمةَ اللاتينية للتوراة لغةَ الكنيسة الرسميّة، ولا يكون القدّاس إلا باللغة اللاتينية، وقل مثل هذا في الكنيسة الأرثوذكسية التي حافظت على اللغة اليونانيّة التقليديّة، والكنيسة المارونيّة التي احتفظت باللغة السريانيّة، والكنيسة المسيحيّة الحبشيّة التي احتفظت باللغة الساميّة القديمة المعروفة بلغة الجعز".[1]

ولا أدري ما الذي حمل الدكتور فريحة على ركوب هذه الأهوال، ويريد منّا أن نشركه في ركوب هذه المخاطر، والأولى إسقاط مشروع الدكتور فريحة، ففي ذلك راحةٌ للناس أجمعين، وإذا أردنا أن نلتمسَ له العذر فيما سطره، فعذره أنه يفتقر إلى المعرفة الدقيقة بخصائص العربيّة وارتباطها بالقرآن. العربيةُ ليست لغة دين فقط بل هي لغة دين ودنيا خلافاً للغات التي ذكرها، ولا يصحُّ القياس عليها، كما لا يصحُّ أن تذوب الشخصية العربيّة الإسلاميّة هذا الذوبان الكامل في شخصيات الأمم الأخرى. فهذه الصين شرعت منذ زمن بعيد في السير في طريق التقدم ولا تعتمد الحرف اللاتيني، ولا تتخذ من اللغات الأخرى قدوة لها، وكذلك يقال في اللغة اليابانية ولغات أخرى كثيرة. الإفادة من الأمم شيء والذوبان والتّلاشي شيء آخر. إذن لا يجوز حملُ العربيّة على اللاتينية وغير اللاتينية من جهات: لأنّ العربيّةَ لغة دين ودنيا. يقول علي النّجدي ناصف: "هل نريد

---

[3]انظر: فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 122.

*العقابيل: بقايا العلة أو المرض.

[4]فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 197.

[5]المرجع السابق، ص 8.

[6]المرجع السابق، ص 198.

[1]فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 199.

أن تكون العربيّة كما أرادها الله لغة دين ودنيا في وقت معاً، أو نريدها لغة دنيا وكفى؟ فإن يكن الثاني فقد تخلصنا في أمرها من القيود والحدود، وصح لنا أن نصنع بها ما نشاء على ما نشاء، ولكن لا ينبغي حينئذ أن نبقى على تسميتها بالعربيّة؛ لأنّها صائرة مع الزمن في هينة ورفق أو في اندفاع وعنف إلى التّحول عن سمتها والتنكر لأصولها، حتى تنتهي إلى لغة غير اللغة. وربما كان خيراً لنا من هذا العناء أن نتخلص منها جملة ونتخذ لنا منذ اليوم الذي نرى فيه هذا الرأي لغة أخرى غيرها من لغات الحضارة القائمة... وإن يكن الأوّل فلا مفر لنا من الحفاظ عليها في مادتها وأصولها، كما ورثناها عن أصحابنا الأولين لا تغيير ولا تبديل في طرائق إعرابها الموروثة ولا في وسائل تنميتها المرسومة".[2]

ومقتضى ما سقناه عن علي النّجدي ناصف أنّ يصفَ الدكتور فريحة مقترحه بما يريد من الأوصاف باستثناء صفة العربيّة، وقد أسلفنا أنّ عنوانَ كتابه ينبغي أن يكون على غير ما هو عليه.

الجهة الثانية:

حمل العربيّة على اللاتينية وغير اللاتينية غير صحيح؛ لأنّ ثمّة تباعداً بين اللاتينية وما تفرع عنها من لغات خلافاً للعربية الفصحى، وما تفرع عنها من لهجات عامية.[1]

والدكتور فريحة نفسه يقرُّ بذلك فيقول: "إنّ الفارقَ بين هذه الكنائس التي احتفظت بلغاتها القديمة وبين الإسلام عظيم جداً، وذلك لأنّ العاميّة المهذبة المحكيّة لا تختلف عن لغة القرآن الكريم اختلاف السريانيّة عن العربيّة، أو الإغريقيّة عن العربيّة، أو اللاتينيّة عن الفرنسيّة، فلن تكون لغةُ القرآن الكريم غريبةً على أفهام النّاس".[2]

ما دام الأمر كذلك فلا حاجة إلى لغةٍ عاميةٍ جديدة، وبخاصة إذا علمنا أنّ الفصحى التي يعتمدها معظم النّاس اليوم خالية من الحوشي والتّقعر، وغريب الألفاظ، وهي اللغة الشائعة في الصحف والمجلات.[3]

ويبدو أنّ هذا لا يروق الدكتور فريحة يقول: "وسنقول دوماً للنّاس إن اللغة تركيب، وتركيب اللغة لم يتغير منذ 1500 سنة، لم يطرأ أيّ تعديل عليه، ولم يمس جوهر اللغة بشيء، فالتخلي عن لغة المقامة، وتحاشي ألفاظ الشنفرى لا يحل المشكلة.[4]

حلُّ المشكلة تغيير اللغة تغييراً كل التّغيير، وهذا ما لا نتّفق فيه مع الدكتور فريحة، ولا يتفق معه كلّ عربي مخلص غيور، ويتناقض –فريحة– كعادته فيعلن في موضع آخر من كتابه: "أنّ عربية اليوم هي عربية امرئ القيس وجرير و ناصيف اليازجي.[5]

فهو تارة يعترض على لغة امرئ القيس من جهة ما فيها من قوة في التركيب، ورصانة، وغرابة في بعض الألفاظ، وتارة لا يكفيه ما يقوم به المصلحون من التّخلي عن الحوشي، ولغة المقامة، ولغة الشنفرى. ومرجع التناقض إلى هدفٍ كليّ في ذهن فريحة وهو التّخلي عن هذه اللغة الفصيحة تخلياً تاماً عن نحوها، وصرفها، وصوتها، ودلالتها تحت مظلة التّيسير.

والدّعوة إلى جعل لغة القرآن لغة دينيّة حملاً على اللاتينية دعوة قديمة، قال بها طه حسين والمستشرقون. يقول طه حسين: "وفي الأرض أمم متدنية، كما يقولون، وليست أقلّ منها إيثاراً لدينها، ولا احتفاظاً به، ولا حرصاً عليه، ولكنّها تقبل في غير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التي تفكر بها، وتصطنعها لتأدية أغراضها، ولها في الوقت نفسه لغتها

---

[2] ناصف، علي النّجدي، سيبويه إمام النّحاة، ص 39.
[1] انظر: حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، 374/2.
[2] فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، ص 199.
[3] انظر: حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، 374/2.
[4] فريحة، أنيس، نحو عربيّة ميسرة، ص 170.
[5] المرجع السابق، ص 16.

الدينية الخالصة التي تقرأ بها كتبها المقدّسة، وتؤدي فيها صلواتها، فاللاتينية مثلاً هي اللغة الدينيّة لفريق من النّصارى، واليونانيّة هي اللغة الدينيّة لفريق آخر، والقبطيّة هي اللغة الدينية لفريق ثالث، والسريانيّة هي اللغة الدينيّة لفريقٍ رابع. وبين المسلمين أنفسهم أممٌ لا تتكلم العربيّة ولا تفهمها، ولا تتخذها أداة للفهم والتفاهم، ولغتها الدينيّة هي اللغة العربيّة، ومن المحقق أنها ليست أقلّ منها إيماناً بالإسلام وإكباراً له، وذياداً عنه، وحرصاً عليه".[1] و "طه حسين" يردد في كلامه هذا ما قاله القاضي الإنجليزي ولمور في كتابه عامية مصر".[2]

وإذا كان المسلمون غير العرب يتّخذون من العربية لغةً دينية؛ لأنّ لهم لغة أخرى، فلِم يتخذ العرب من العربيّة لغة دينيّة ولا لغة أخرى لهم؟ إلا إذا كان مراد طه حسين اتخاذ العاميّة، وقد مضى بطلان هذه الدعوة. وعلى كل حال فإنّ الملاحظ أنّ الدكتور فريحة لا شيء مما طرحه يمكن أن ينسب إليه، أي لا فكرة خاصة به، وكل ما ساقه أفكار مكرورة قالها من قبل عرب ومستشرقون. والبحث العلميّ يأبى أن يكون الباحث ظلًّا للآخرين، وصورة منسوخة عنهم بلا تحوير أو تعديل أو تغيير.

والخطورة الثالثة المترتبة على مقترح فريحة تكمن في السؤال الآتي: ماذا سنفعل بالتراث العربي الضخم الذي ضمّ ألواناً من المعارف في الادب والتفسير والفقه والفلسفة، والتاريخ وغير ذلك؟ ويحاول المؤلف أن يهوّن المسألة بقصر المشكلة على الأدب القديم لا على التراث العربيّ الإسلاميّ الضخم بألوانه المختلفة. قال: "وماذا سيحلُّ بالأدب القديم".[3]

والجواب عند الدكتور فريحة أنّ الأدب العربي وإن ضمّ في تضاعيفه ومضات جيدة[4]، لكنه "بجملته فقير في الأفكار، محدود الخيال، أقرب إلى الصناعة اللغويّة منه إلى الفن، ذاتي تنقصه الصفة الإنسانيّة العامة، فلا يمكن أن يكون له الأثر المنشود في نفوس الناشئة العربية عام 1955م، عندما أصبح الأدب العالمي مشاعاً، تراثاً عالمياً تنشره السينما ويعمّمه المسرح وتبعث به الصحيفة إلى زوايا العالم بأسره".[5]

يفهم من هذا أنّ الأدبَ العربي القديم لا يمكن أن يقرأ وفقَ مقترح الدكتور فريحة لأنّ مقترحَ الدكتور فريحة يقضي بكتابة العاميّة بحرف لاتيني، وخير سبيلٍ للتخلص من هذه المشكلة أن يقال إنّ الأدبَ العربيّ فقير – غير ومضات– خالٍ من الصفة الإنسانيّة... الخ، ويمكن الاستعاضة عنه بالأدب العالمي الذي صار مشاعاً للناس قاطبة.

وينبني على هذا في نظر الدكتور فريحة أن "يبقى القسم الأكبر منه – أي من الأدب العربي القديم– سجلاً تاريخياً للأجيال التالية، والجزء القليل منه سيخلد على أنّه أدب".[6]

وأنا أتساءل أيّ خيرٍ يرتجى من مشروع يقضي على الأواصر اللغويّة، أو بتعبيرٍ أدق الآصرة اللغوية بين العرب، ويقطع حاضرهم عن ماضيهم، ويجعل القرآن مكتوباً بلغة – مع مرور الأيام– لا يعرفها العرب، ويجعل من الأدب العربي أدباً فقيراً خالياً من الإنسانيّة، أيّ خيرٍ في هذا المشروع؟ وأي نفعٍ يعود على الأمة؟ والأولى في نظري أن يطرحَ المشروع ولا يلتفت إليه بدلاً من هذا الدمار الشامل.

5- قضايا لغويّة:

من حقّ القارئ أن تكتملَ صورة الكتاب عنده، واكتمال الصورة يقضي بالإلمام بطائفة من قضايا اللغة ضمّنها الدكتور فريحة كتابه، وسيرى القارئ أنّ هذه القضايا جميعاً تعدّ من الميراث المشترك الذي ألفه الغربيون والعرب أيضاً، وليس للدكتور

---

[1] حسين، محمد محمد، حصوننا مهددة، ص 147-148، وانظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، 2/241-242.
[2] انظر: حسين، محمد محمد، حصوننا مهددة، ص 148.
[3] فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، 198
[4] انظر:المرجع السابق، ص 203.
[5] المرجع السابق، ص 203.
[6] المرجع السابق، ص 214-215.

فريحة فيها من جديد غير تقميشها وتسطيرها وكان يمضي من قضية إلى قضية عجلان غير متلبث، يقف عند القضية الواحدة وقفة الطائر. وهذه السّمة طبعت كتابه كلّه ونشرع الآن في ذكر هذه القضايا:

1- تحديد اللغة:

تحديد ماهية اللغة قضية شغلت القدامى والمحدثين فحدّها عند ابن جني: "أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم".[1] أما الدكتور فريحة فقد اضطرب تحديد اللغة بين يديه، فتارة هي أداة للتعبير عن الفكر[2]، وتارة هي الفكر وطريق الإنسان إلى إدراك الكون والوجود".[3]

وأحيانا يكون منشؤها الشعور لا الفكر[4]، ثم يقول: "اللغة جزءٌ من كياننا البسيكولوجي الروحي، وهي عملية فيزيائية اجتماعية بسيكولوجية على غاية من التعقيد".[5] وينتهي إلى أن اللغةَ "ظاهرة بسيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة، لا صفة بيولوجية".[6] وما قدّمه الدكتور "فريحة" يعدُّ إرثاً مشتركاً عند الغربيين. يقول فندريس: في حدّ اللغة: "اللغة مركبٌ معقّدٌ تمس فروعاً من المعرفة مختلفة، وتعنى بها طوائف متفرقة من العلماء، فهي فعل فسيولوجي من حيث أنّها تدفع عدداً من أعضاء الجسم الإنساني إلى العمل، وهي فعلٌ نفساني، من حيث إنّها تستلزم نشاطاً إرادياً للعقل، وهي فعل اجتماعي من حيث إنها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الإنسان، ثمّ هي في النّهاية حقيقة تاريخية لا مراء فيها نعثر عليها في صور متباينة".[7]

2- نشأة اللغة:

نشأة اللغة شغلت العلماء قديماً وحديثاً، ولعلماء العرب ثلاثةُ مذاهب، مذهبٌ يقول إن اللغة توقيفية، ومن القائلين بهذا ابن فارس[1]، ومذهبٌ يقول إنّها اصطلاحية، ومن القائلين بهذا ابن سنان الخفاجي[2] ومذهبٌ يتردّد بين التوقيف والاصطلاح ويمثله ابن جني[3]. وفي نشأة اللغة عرض الدكتور فريحة عدة نظريات منها نظرية البو التي تقضي بأن أصل اللغة محاكاة أصوات طبيعية، وأشار إلى أنّ العرب عرفوا هذه النظرية ومنهم ابن جني[4]، ومنها نظرية الأصوات التّعجبية "ومفادها أن الكلمات الأولى التي نطق بها الإنسان كانت أصواتاً تعجبية عاطفية صادرة عن دهشةٍ أو فرحٍ أو وجعٍ أو حزن... الخ".[5]

ونظرية محاكاة الأصوات معانيها وواضعها ماكس ميلر اللغوي الشهير، ومفادها أن جرس الكلمة يدلّ على معناها وهي لا تختلف عن نظرية البو–بو وقد أشار إليها العرب أيضاً بطريقةٍ غير مباشرة عندما أشاروا أن للحروف معاني، فحرف الحاء يدلُّ على الانبساط والسعة والراحة...[6] ومنها نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية، وهي المقاطع الطبيعية التي يتفوه

---

[1] ابن جني، أبو الفتح، عثمان، الخصائص، 33/1.
[2] انظر: فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، ص 34.
[3] المرجع السابق، ص 18.
[4] فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، ص 35.
[5] المرجع السابق، ص 36.
[6] المرجع السابق، 38-39، وانظر: ص 58، 59.
[7] فندريس، جوزيف، 1950،اللغة، ترجمة عبد الحميد الدّواخليّ ومحمد القصاص،مكتبة الأنجلو المصرية ، د.
[1] ابن فارس، أحمد بن فارس، الصاحبي، ص 5.
[2] الخفاجي، ابن سنان، 1932،سر الفصاحة،الطبعة الأولى،مكتبة الخانجي،44-45.
[3] ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، 47/1.
[4] انظر :فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، ص 42
[5] المرجع السابق، ص 43.
[6] فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، ص 44.

بها الإنسان عندما يستعمل أعضاء جسمه في العمل اليدوي... ولكن هذه النظرية تفسر جزءاً يسيراً من اللغة[7]. ومنها نظرية الإشارات الصوتية، وهي "نظرية جديدة لم تلق قبولا ومفادها أن الكلمات إشارات صوتية"[8]. ومنها "نظرية معرفة أصل اللغة عن طريق دراسة اللغات القديمة".[9] وهناك اتجاه يدرس نشأة اللغة عن طريق دراسة لغة الطفل[10]، وثمة من "يفتش عن نشأة اللغة في نشأة الأسطورة وتطورها، إذ إن الأسطورة واللغة في مبدئهما من نسيج واحد، ودوافعهما الحياتيّة من معدن واحد".[11] ويلاحظ أنّ الدكتور فريحة رصد هذه النّظريات رصداً موجزاً، وقد رصدها من قبله من الباحثين العرب الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه "علم اللغة".[12]

وأعتقد أنّ كلّ ما قيل لا يعدو الافتراض والتّخمين، ومن الصعوبة القطع بشيء من هذه النّظريات، وقديماً قال ابن السبكي في مسألة أصل اللغة: "الصحيح عندي، أن لا فائدة لهذه المسألة، وهو ما صححه ابن الأنباري وغيره، ولذلك قيل ذكرها في الأصول فضول".[13]

ويقرر الدكتور فريحة: "بأنّ قضيةَ أصل اللغة ليست قضية لغويّة بحتة، ولا تدخل في نطاق علم اللغة".[1] وهذا الذي ذهب إليه الدكتور فريحة ذهب إليه الغربيون، ومنهم فندريس الذي أعلن "أنّ مشكلةَ أصل اللغة لا تدخل في اختصاص العالم اللغوي"[2]. ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: "ولذلك يرى كثير من العلماء إخراج هذا الموضوع من نطاق علم اللغة".[3]

والدكتور فريحة نفسه يرى – تبعاً للجمعية اللغوية الفرنسيّة– أنّ مبحث نشأة اللغة "لا يدخل في نطاق علم اللغة، بل هو أقرب إلى الحدس والخيال، يجب أن يبحثَ عن أصل اللغة في نشوء التّصرف أو السلوك الرمزي".[4]

ولغةُ الطفل موضع عناية علماء اللغة من الغربيين، فقد عقد م. م. لويس ثلاثة فصول في اكتساب اللغة عند الطفل[5]، كما عقد الدكتور علي عبد الواحد وافي فصلاً عن نشأة اللغة عند الطفل.[6]

3- اللغة والعرق والعقلية:

خلاصةُ هذه القضية عند الدكتور فريحة: "أنّ من الواجب التفريق بين لغةٍ وعِرقٍ وحضارة... ولو كان للغة خصائص عرقية معينة لا تلائم إلاّ عرقاً خاصاً أو عقلية خاصة أو حضارة خاصة، لما وجدنا أنّ اللغةَ الواحدة قد تكون مشاعاً لأعراق عديدة و أداة لحضارات مختلفة، ليس هناك من لغة لها عبقرية تفوق اللغات الأخرى، وليس هناك من عرقٍ صافٍ خلق لغةً خاصةً تعكس عقليته، وكلّ ادعاء بأن هذه اللغة أو تلك أحسن اللغات وأفصح اللغات وأغنى اللغات، وأشرف اللغات هو من

---

[7] المرجع السابق، ص 45.
[8] المرجع السابق، ص 45.
[9] المرجع السابق، ص 49.
[10] انظر: فريحة ،أنيس،نحو عربية ميسرة، ص 50.
[11] المرجع السابق، ص 51.
[12] وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ص 74 وما بعدها.
[13] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 26/1.
[1] أنيس، فريحة، نحو عربية ميسرة، ص 40.
[2] فندريس، جوزيف، اللغة، ص 3
[3] وافي، علي عبد الواحد،1967م ،علم اللغة ،الطبعة السادسة دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص 5.
[4] فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، ص 41.
[5] انظر: موريس م. م. 1959 ، اللغة في المجتمع،ترجمة الدكتور تمام حسان،مراجعة الدكتور ابراهيم أنيس،دار احياء الكتب العربية،عيسى البابي الحلبي وشركاه،ص 31-97.
[6] انظر، وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ص 100 وما بعدها.

باب المباهاة، اللغة شيء والحضارة شيءٌ آخر، واللغة شيء والعرق شيءٌ آخر، ويجب ألا نخلطَ بينها".[7] وهذا أمرٌ حسن، وقد صرح بنقله عن علماء اللغة المحدثين الذين يخطئون من يرون "في اللغة وتركيبها انعكاساً للعقلية والأخلاق".[8]

ولكنّ، هل هذا الكلام يعكس فعلاً مفاهيم الغربيين تجاه هذه المسألة، أم أنّ الدكتور فريحة يريد أن يطبق هذا على العرب الذين قال علماؤهم إنّ لغتهم أشرف اللغات وأفضلها[9] وأن ليس ثمة ما يدعو إلى هذا القول... على كل حال إنّ المنطقَ العملي يقول إنّ كلّ أمة ترى في وطنها خير الأوطان، وفي لغتها خير اللغات، ولا بأس من وجود هذا الشعور عند الأمم قاطبة بشرط ألاّ يتحول إلى شعورٍ عنصري يحتقرُ الآخرَ ويعاديه.

يقول الدكتور "محمد محمد حسين": "اعتقادُ كلّ أمّة بأنّ لغتها أجمل اللغات، وأن بلدها أجمل البلاد، وأنّ جنسها أرفع الأجناس – على ما يشوب هذا الاعتقاد والشعور من مبالغة في بعض الأحيان– أمرٌ مألوف شائع بين كل الأمم، لا خطر فيه ولا ضرر منه، ما دام في حدوده المعتدلة التي لا تدعو إلى كراهية غيرهم والاعتداء عليهم، وليس هناك ما يدعو إلى مقاومته، وبذل الجهد في تصحيحه والحد من شيوعه؛ لأنّه من أهمّ مقومات التّماسك والتّلاحم الذي تقوم عليه وحدة الأمم وتكاتفها لجلب المنافع، ودفع المضار".[1]

4- علم اللغة:

عقد الدكتور فريحة في كتابه حديثاً مطولاً نسبياً عن علم اللغة الذي "يدرس اللغة بصورة عامة على أنّها ظاهرة إنسانيّة اجتماعيّة بسيكولوجية... له أوثق العلائق بالفكر، والفلسفة، والدين، والأدب، والعلم، والفن".[2]

ويقرر الدكتور فريحة أنّ هذا العلم "من العلوم الحديثة التي لم تستقر بعد، ولم تتخذ شكلاً معيناً محدداً، كما هي الحال في بقيّة العلوم".[3] ولقد مرّ هذا العلم في طورين، ففي الطور الأول كانت مواده "تنحصر في علم اللغة العام، وعلم المقابلات اللغوية، ودرس التّطور الصرفي والنّحوي".[4]

وفي الطور الثاني اشتمل علم اللغة إلى جانب ما ذكر "الحقل الفيزيائي – البيولوجي، والحقل البسيكولوجي– الفلسفي، والحقل اللغوي الصرف من جهة وصفية بحتة لا من جهة فلسفية".[5]

وتحدث الدكتور فريحة حديثاً موجزاً عن تاريخ هذا العلم الذي "يبدأ بالبراهمة والإغريق والعرب"[6] ثم خصّ القرون الثلاثة: الثامن عشر، والتاسع عشر والعشرين بحديثٍ مختصرٍ عن كل قرن[7]، كما تكلم عن أثر علم اللغة في تفكيرنا اللغوي.[8]

وقد أطال الدكتور فريحة إطالةً نسبيةً في الحديث عن علم اللغة ليعرف القرّاء العرب بعلمٍ لا عهد لهم به،[9] وهو يأسفُ لبقاء هذا العلم "أمراً مجهولاً عند عامة المتأدبين، وموضع استهزاء عند عامة النّاس الذين ينظرون إلى اللغة وعلمها أنّها من

---

[7] فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، ص 56-57، وانظر :ص 73.
[8] المرجع السابق، ص 56.
[9] انظر مثلا: ابن فارس، أحمد، الصاحبي، باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها، 16-25.
[1] حسين، محمد محمد، فقه اللغة العربية بين الأصالة والتغريب،الرياض،1981، ص 196.
[2] فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، ص 58.
[3] المرجع السابق، 63-64.
[4] المرجع السابق، ص 64.
[5] المرجع السابق، ص 64.
[6] فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، ص 60.
[7] انظر: المرجع السابق، 61-62.
[8] انظر: المرجع السابق، ص 72 وما بعدها.
[9] انظر: المرجع السابق، ص 169.

الدراسات الفارغة التي لا علاقة لها بواقع الحياة، أو أنّها من جملة هذه الكماليات التي تتلهى بها العقول الخاملة".[10] وليس الأمر كما توهمه الدكتور فريحة، فقد ألّف الدكتور علي عبد الواحد وافي كتاباً سمّاه "علم اللغة" وقد سبق في تأليفه هذا الكتاب كتاب الدكتور فريحة بعشر سنوات، أي في سنة 1945م، وأدار الكتاب على أسسٍ علمية، ولم يدعُ إلى العامية، ولا إلى إلغاء الإعراب، ولا إلى اعتماد الحرف اللاتيني، ولم يوجه سهامَ نقده إلى العربية الفصحى، بل لم يوجه سهامَ هجومه الحاد على العربية الفصحى ولو بذرٍ من الكلام كما فعل الدكتور فريحة. أمّا ما توهمه الدكتور فريحة من أنّ عامةَ المتأدبين تلقوا علم اللغة العام بالسخرية والاستهزاء، فليس تنزيلا للأمور منزلها. لقد تلقى بعض العلماء علم اللغة بحذر.

قال الدكتور محمد محمد حسين: "فقهُ اللغة ينبعُ من طبيعة كلّ لغة، ومن واقعها، وينحصر عمله في خدمتها دون نظرٍ إلى غيرها. أمّا علمُ اللغة العام فهو يصدرُ عن اتجاهٍ عالمي يفترض أنّ هناك خصائص وقوانين صوتية واجتماعية عامة توجّه سائر اللغات في تطورها الدائم الذي لا يتوقف عند حد".[1] ويفصّلُ هذه المسألة في كتابٍ ثانٍ له فيقول: "يحاولُ علمُ اللغة أن يجدَ طرقاً لدراسة اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة، تصلحُ لدراسة جميع الأشكال الكلامية التي تصطنعها الجماعات البشرية على اختلافها، وقد يكون لهذه المحاولة ما يبررها في اللغات الأوروبيّة التي تشتركُ في طبيعتها اللغوية وتتقارب في ظروفها الاجتماعية، والتي تتغير معاجمها بين الحين والآخر، فلا يمرُّ قرنٌ واحدٌ على لغةٍ من لغاتها دون أن يصيبَها تغييرٌ أساسيّ في كثير من مفرداتها وقواعدها. ولكن إقحام هذه الدراسة التي تنبعُ اهتماماتها وقواعدها من طبيعة اللغات الأوروبية، على لغة كالعربيّة تختلفُ في طبيعتها وفي ظروفها التّاريخيّة والاجتماعية اختلافاً أساسياً عن هذه اللغات، بِدع شاذ قليل الجدوى، بل هو إفسادٌ مُضِرٌّ وقلبٌ للأوضاع؛ لأنّه يحاول أن يفرضَ قواعد نابعة من خارج اللغة العربية على طبيعتها اللغوية، بدل أن يستنبطَ من واقعها اللغوي وطبيعتها المستقرة قواعد تعين على فهمها وضبطها واستخدامها في التعبير– واللغة العربيّة– بحمد الله – غنيةٌ بهذه الدراسات عريقةٌ فيها، وقياسها على اللغات الأوروبية... خطأ فادح".[2]

---

[10] المرجع السابق، ص58.

[1] حسين، محمد محمد، فقه اللغة بين الأصالة والتعريب، ص 193.

[2] حسين، محمد محمد، حصوننا مهددة من داخلها، ص 190.

الخاتمة:

انتهى هذا البحث إلى:

أولاً: بطلان الدعوات الثلاث التّي نادى بها الدكتور أنيس فريحة في كتابه: نحو عربيّة ميسرة وهي: الدعوة إلى العاميّة ،والدعوة إلى إلغاء الاعراب ،والدعوة الى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي .

ثانياً:عدم جواز حمل اللغة العربيّة على اللغة اللاتينية ، ولا يصح أن تكون العربيّة لغة دينية فقط بل هي لغة الدّين والحياة.

ثالثاً: اللغة العربيّة غير عاجزة عن الوفاء بمتطلبات العصر لكن أصحابها هم العاجزون ، واللغات ترتقي بارتقاء أهلها وتنحدر بانحدارهم.

رابعاً: لم يتضمن الكتاب أفكاراً جديدةً سواءٌ في الدعوات الثلاث أم في القضايا اللغوية التي طرحها من مثل: تعريف اللغة، وعلم اللغة، وغيرها فكل ذلك معادٌ سبقه إليها كثيرون.

المصادر والمراجع

1- الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، (1405ه- 1985م) ،*الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية*، تحقيق الدكتور محمد حسن عواد، الطبعة الأولى، عمان- الأردن،دار عمار للنشر والتوزيع.

2-أنيس، إبراهيم، (1966م) ، *من أسرار العربية*، الطبعة الثالثة، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية.

3-ابن جني، أبو الفتح عثمان (1371 ه- 1952م) ، *الخصائص*، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثانية، مصر، دار الكتب المصرية.

4-ابن جني، أبو الفتح عثمان، (1988م)،*اللمع في العربية*، تحقيق الدكتور سميح أبو مغلي، الطبعة الأولى، عمان- الأردن، مجدلاوي للنشر والتوزيع.

5-حسن، عباس، (1966م)، *اللغة والنحو بين القديم والحديث*، مصر، دار المعارف .

6-حسين، محمد الخضر حسين، (1380ه- 1960م)، *دراسات في العربية وتاريخها*، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي- مكتبة دار الفتح.

7-حسين، محمد محمد،(1403ه- 1983م)، *الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر*، الطبعة السادسة، مؤسسة الرسالة.

8-حسين، محمد محمد،(1404ه- 1983م) ، *حصوننا مهددة من داخلها*، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة.

9-حسين، محمد محمد، (1401ه- 1981م) ، *فقه اللغة العربية بين الأصالة والتغريب*، الرياض.

10-الخفاجي، ابن سنان،(1350ه- 1932م) ،*سر الفصاحة*، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي.

11- خليفة ،الجنيدي ، (بلا تاريخ)، *نحو عربية أفضل*، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.

12- خليفة، عبد الكريم،(1407ه- 1986م) ، *تيسير العربية بين القديم والحديث*، الطبعة الأولى، عمان- الأردن.

13- الرافعي، مصطفى صادق، (1394ه، 1974م) ، *تاريخ آداب العرب*، الطبعة الثانية، بيروت- لبنان، دار الكتاب العربي.

14-الرافعي، مصطفى صادق ، (1972م) ، *وحي القلم* ، مصر ، دار المعارف .

15- الزبيدي، سعيد جاسم، (2003) ، *نحوي مجهول في القرن العشرين*، الشيخ يوسف كركوش وكتابه رأي في الإعراب، الطبعة الأولى، عمان- الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع.

16- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، *الواضح*، تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة، عمان- الأردن.

17- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق،(1959)*الإيضاح في النحو*، تحقيق الدكتور مازن المبارك، القاهرة ، دار العروبة.

18- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق،(1984)*الجمل في النحو*، تحقيق الدكتور علي الحمد، بيروت .

19 – سعيد، نفوسه زكريا،(1964م) ، *تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر*، الطبعة الأولى، الإسكندرية ، دار نشر الثقافة.

20 – السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (بلا تاريخ)، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البيجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

21 – شاكر، محمود محمد،(1972 م)، *أباطيل وأسمار*، الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة المدني.

22 – ضيف، شوقي،(1986م)، *تجديد النحو*، مصر، دار المعارف .

23- ضيف، شوقي، (1986م)، *تيسير النّحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده*، الطبعة الأولى،مصر،دار المعارف .

24 – عبد الحميد، محمد محي الدين، (1385ه- 1965م)، *التّحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية*، الطبعة السادسة عشرة، المكتبة التجارية الكبرى.

25 – عرفة، محمد،(1937ه)، *النّحو والنّحاة بين الأزهر والجامعة*، مصر، مطبعة السعادة.

26 – العلولا، منيرة بنت سليمان،(1993م)، *الإعراب وأثره في ضبط المعنى*، دراسة نحوية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

27 – عيد، محمد، (1973م)*أصول النّحو العربي في نظر النّحاة ورأي ابن مضاء*، في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب.

28- ابن فارس، أحمد ،(1977م)، *الصاحبي*، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

29- فريحة، أنيس، (1955م)، *نحو عربية ميسرة*، دار الثقافة، بيروت.

30- فندريس، جوزيف،(1950م)، *اللغة*، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص،مصر، مكتبة الأنجلو المصرية.

31 – فهمي، عبد العزيز، (1946م)، *تيسير الكتابة العربية*، القاهرة، المطبعة الأميرية .

32 – القرطبي، ابن مضاء، (1366ه- 1947م)، *الرد على النحاة*، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي.

33 – القزاز، عبد الجبار جعفر، (1396ه -1979م)، *الدراسات اللغوية في العراق*، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.

34 – المخزومي، مهدي، (1386 ه – 1966م)، *في النّحو العربي، قواعد وتطبيق*، الطبعة الاولى،مصر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

35 – المخزومي، مهدي، (1964م)، *في النحو العربي، نقد وتوجيه*، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، منشورات المكتبة العصرية.

36 – المخزومي، مهدي، (2002م)، *قضايا نحوية*، أبو ظبي، المجمع الثقافي.

37 – مصطفى، إبراهيم، (1959م)، *إحياء النحو*، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

38 – المطرزي، ناصر الدين بن عبد السيد،(بلا تاريخ)، *المصباح في علم النحو*، تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد طلب، مكتبة الشباب، المنيرة.

39 – مظهر، إسماعيل، *تجديد العربية بحيث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون*، مكتبة النهضة المصرية.

40 – موريس، م. م (1959م) ، *اللغة في المجتمع*، ترجمة الدكتور تمام حسان، مراجعة الدكتور إبراهيم انيس، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

41 – ناصف، علي النجدي،(1953م)، *سيبويه إمام النحاة*، مكتبة نهضة مصر بالفجالة.

42 – وافي، علي عبد الواحد، (1387ه– 1967م) ،*علم اللغة*، الطبعة السادسة، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

43 – وافي، علي عبد الواحد، *فقه اللغة*، الطبعة السادسة، دار نهضة مصر.

* *

رسائل جامعية

1 – إسماعيل، فاطمة ،(2003)، *"ظاهرة الإعراب عند الدارسين المحدثين "*، الجامعة الأردنية، الأردن.

2 – السحيمات ، يوسف حسين، (2004 م)، *"حركة تيسير النحو العربي في جهود الباحثين المصريين "*، الجامعة الأردنية، الأردن.

3 – يوسف، عبير سميح، (2016م)، *"صورة ابن مضاء القرطبي عند الدارسين المحدثين "*، الجامعة الأردنية، الأردن.